جماعة أنصار السنة المحمدية
فرع بلبيس – اللجنة العلمية

الخطب المهمة لدعاة الأمة

شهر جماد الأولى (1435هـ)

إشراف ومراجعة
د/ صبري عبد المجيد
الشيخ/ أحمد بن سليمان

إعداد
أحمد عبد السلام
هاني الشيخ
سيد عبد العال
عبد الرحمن الفواخري
صالح حسون

القواعد الشرعية لنجاة الأمة من الأفكار الخاوية غير المرضية

القاعدة الأولى: أن الدين كامل، صالح مصلح للعالمين في كل زمان ومكان

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾المائدة: ٣

وفي حديث العِرْبَاض بن سَارِيَةرضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِك"[1]

القاعدة الثانية: أن الطريقة التي كان عليها رسول الله ﷺ هي الوحي، القرآن كلام الله عز وجل حقيقة من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تأويل ولا تعطيل، وسنته، وهي: قوله وفعله، واقراره ﷺ وهو الهدى الحق

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾ النساء: ١١٣

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ النجم: ٣ – ٤

وفي حديث عائشة أن النبي ﷺ: "مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ" وفي سياق: "مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ"[2]

القاعدة الثالثة: أن الطريقة التي كان عليها رسول الله ﷺ وأصحابه ~هي الطريقة الموصلة إلى العزة والنصرة والسعادة في الدنيا والآخرة، فمن خالفها وسلك غيرها فهو الخاسر الشقي.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ آل عمران: ٣١

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ الأحقاف: ١٣

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ النساء: ١١٥

وفي حديث سُفْيَانِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الثَّقَفِيِّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْ لِي فِي الإِسْلاَمِ قَوْلاً لاَ أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ، قَالَ: قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ، ثم اسْتَقِمْ. [3]

وفي حديث الفرقة الناجية سئل ﷺ عن علامتها من تلك الفرق الهالكة المنتسبة للإسلام، قال: هي الجماعة. وقال: "ما أنا عليه وأصحابي"[4]

فالجماعة هي التي على ما كان عليه النبي صلي الله عليه وسلم وأصحابه

القاعدة الرابعة: أن المرجع في تمييز الحق من الباطل: القرآن كلام الله حقيقة من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تأويل وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم**القولية والفعلية والإقرارية بفهم الصحابة~ ومن تبعهم بإحسان.**

---

(1) أخرجه أحمد (17142)، وهو حديث حسن.
(2) أخرجه البخاري (2697)، ومسلم (1718) اللفظ الأول للبخاري ومسلم، والثاني لمسلم.
(3) مسلم (62).
(4) صحيح بطرقه وشواهده. أخرجه الترمذي (2641)، وأبو داود (4597).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ ﴾ الشورى: ١٠

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾ النساء: ٦٥

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴿٣٦﴾ ﴾ الأحزاب: ٣٦

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ- وفي لفظ: فدعوه، وآخر فانتهوا-، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ. (1)

وفي الباب من المأثور عن السلف الصالح كثير

- اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا؛ فَقَدْ كُفِيتُمْ. (2)
- عَلَيْكَ بِآثَارِ مَنْ سَلَفَ وَإِنْ رَفَضَكَ النَّاسُ، وَإِيَّاكَ وَرَأْيَ الرِّجَالِ، وَإِنْ زَخْرَفُوهُ بِالْقَوْلِ، فَإِنَّ الْأَمْرَ يَنْجَلِي وَأَنْتَ مِنْهُ عَلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ(3)

القاعدة الخامسة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم **إمام الدعاة إلى الله عز وجل**

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ يوسف: ١٠٨

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ الحشر: ٧

وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهصلى الله عليه وسلم خَطًّا فَقَالَ: "هذا سَبيلُ الله". ثُمَّ خَطَّ خُطُوطاً عَنْ يَمينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: "وَهذِهِ سُبُلٌ، عَلَى كلِّ سبيلٍ مِنْها شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ". ثُمَّ تَلا ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ الأنعام: ١٥٣(4)

القاعدة السادسة: التحذير من سُبل الكافرين

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿١٢٠﴾ ﴾ البقرة: ١٢٠

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهۡوَآءَكُمۡ قَدۡ ضَلَلۡتُ إِذٗا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ الأنعام: ٥٦

---

(1) البخاري (7288)، ومسلم (1337).
(2) صحيح عن ابن مسعود وغيره. انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (104)
(3) صحيح عن الأوزاعي. جامع بيان العلم وفضله (1084).
(4) صحيح بطرقه. أخرجه أحمد (4142)، والترمذي (2454)

وقال صلى الله عليه وسلم: لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ[وباعًا بباع]، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا [سلكوا]جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ[سلكتموه]، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اَلْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: فَمَنْ؟ (1)

القاعدة السابعة: التحذير من تحكيم العقل في النقل

وهي خلاصة ما سبق ذكره

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه" أَمَا وَاللَّهِ، إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ، لاَ تَضُرُّ وَلاَ تَنْفَعُ، وَلَوْلاَ أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ صلي الله عليه وسلم يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ"(2)

وعَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه، قَالَ: لَوْ كَانَ الدِّينُ بِالرَّأْيِ لَكَانَ أَسْفَلُ الْخُفِّ أَوْلَى بِالْمَسْحِ مِنْ أَعْلاَهُ، وَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلمَيَمْسَحُ عَلَى ظَاهِرِ خُفَّيْه"(3)

وكتبه

صبري بن عبد المجيد

(1) أخرجه البخاري (7320)، ومسلم (2669) من حديث أبي سعيد الخدري، وابن ماجه (3994) وغيره وحديثهم حسن من حديث أبي هريرة.

(2) صحيح البخاري (1597).

(3) أخرجه أبو داود (162)، والدارقطني في سننه (1/ 378)، وصححه ابن حجر في تلخيص الحبير(1/ 418). والألباني في صحيح أبي داود الأم (153).

1ـ خطورة الكلمة

عناصر الموضوع

نعمة الكلام وكيفية شكرها ذكر شيء مما يعين على حفظ اللسان

فإن مما لا شك فيه الله تعالى منح الإنسان نعماً عظيمة، ومن أعظمها بعد الإسلام: نعمة الكلام والبيان عما بداخل الإنسان حتى قال الله تعالى في سياق نعمه على العباد: {عَلَّمَهُ الْبَيَانَ} [الرحمن: 4][1] والقدرة على الكلام سلاح ذو حدين: فإن استخدم في طاعة الله: كقراءة القرآن، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونصر المظلوم كان هذا هو المطلوب من كل مسلم، وكان هذا شكراً لله على هذه النعمة.

وإن استخدم في طاعة الشيطان، وتفريق جماعة المسلمين، والكذب وقول الزور، والغيبة والنميمة، وانتهاك أعراض المسلمين، وغير ذلك مما حرمه الله ورسوله. كان هذا هو المُحَرَّمُ على كل مسلم فعله، وكان كفراناً لهذه النعمة العظيمة.

وفي اللسان آفتان عظيمتان: 1 - آفة الكلام بالباطل. 2 - آفة السكوت عن الحق.

وَلِخَطَرِ الكلمة على الفرد، والمجتمع، والأمة الإسلامية كان هذا هو موضوعنا

نعمة الكلام وكيفية شكرها

أولاـ وجوب شكر نعمة الكلام:

قال الله تعالى: {**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ** } [الروم: 22].

ثانيًاـ من شكر هذه النعمة أن يستخدمها في الخير، ومن ذلك:

1- **تلاوة القرآن**: قال الله تعالى: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (23)} [الزُّمَر: 23].

وقال الله تعالى: {فَبَشِّرْ عِبَادِ (17) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ (18)} [الزُّمَر: 17 - 18].

2- **الإكثار من ذكر الله والصلاة على نبيه**صلى الله عليه وسلم: قال الله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (41) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا } [الأحزاب: 41 - 42]. وقال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (56)} [الأحزاب: 56].

3- **الدعوة إلى الله** قال الله تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (33)} [فُصِّلَت: 33].

4- **فإن لم يجد ما يتكلم به من الخير فليسكت** كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَرضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِصلى الله عليه وسلم: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ

(1) قَالَ الْحَسَنُ: يَعْنِي: النُّطْقَ، وقال السعدي: أي: التبيين عما في ضميره، وهذا شامل للتعليم النطقي والتعليم الخطي، فالبيان الذي ميز الله به الآدمي على غيره من أجل نعمه، وأكبرها عليه. . تفسير ابن كثير ت سلامة (7/ 489)، وتفسير القاسمي (471/3)، والسعدي (828/1).

يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ"[1]

- قال رجل لسلمانرضي الله عنه: أوصني؟ قال: لا تتكلم. قال: وكيف يصبر رجل على أن لا يتكلم؟ قال: فإن كنت لا تصبر عن الكلام فلا تتكلم إلا بخير أو اصمت)[2].

- وعن (عقيل بن مدركٍ، يرفعه إلى أبي سعيدٍ أنّ رجلًا أتاه، فقال: أوصني، فقال: أوصيك بتقوى الله، وعليك بالصّمت، فإنّك به تغلب الشّيطان)[3].

ثالثا –من شكر نعمة الكلام حبس اللسان عن الآفات، ومن ذلك ما يلي:

1- قال الله تعالى: {**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا** } [الإسراء: 36].

2- وقال الله تعالى: {**وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (116) مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** } [النحل: 116 - 117]. وقال - عز وجل -: {مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}

3- قال الله تعالى: {لاَّ يُحِبُّ الله الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ الله سَمِيعًا عَلِيمًا}.

4- الكلمة الخبيثة سبب لدخول النار فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَرضي الله عنه، سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "**إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ، مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا، يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ المَشْرِقِ**"[4]

وعن أَبِي هُرَيْرَةَرضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "**إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ**"[5]

5 - **الكلمة الخبيثة سبب لسخط الله** كما في حديث مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ عَلْقَمَةَ بْنِ وَقَّاصٍ، قَالَ: مَرَّ بِهِ رَجُلٌ لَهُ شَرَفٌ، فَقَالَ لَهُ عَلْقَمَةُ: إِنَّ لَكَ رَحِمًا، وَإِنَّ لَكَ حَقًّا، وَإِنِّي رَأَيْتُكَ تَدْخُلُ عَلَى هَؤُلاَءِ الأُمَرَاءِ، وَتَتَكَلَّمُ عِنْدَهُمْ بِمَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَتَكَلَّمَ بِهِ، وَإِنِّي سَمِعْتُ بِلاَلَ بْنَ الْحَارِثِ الْمُزَنِيَّ، صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ، مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سُخْطِ اللهِ، مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ بِهَا سُخْطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ. قَالَ عَلْقَمَةُ: فَانْظُرْ وَيْحَكَ مَاذَا تَقُولُ؟ وَمَاذَا تَكَلَّمُ بِهِ، فَرُبَّ كَلاَمٍ قَدْ مَنَعَنِي أَنْ أَتَكَلَّمَ بِهِ، مَا سَمِعْتُ مِنْ بِلاَلِ بْنِ الْحَارِثِ[6].

---

(1) البخاري (6018).
(2) رواه ابن أبي الدنيا في ((الصمت)) (ص65).
(3) ((الزهد)) لابن أبي عاصم (ص: 33).
(4) البخاري (6477).
(5) البخاري (6478).
(6) سنن ابن ماجه (3969)، وأخرجه الترمذي (2319)، وقال: حديث حسن صحيح.

6- **الكلمة الخبيثة قد تحبط العمل الصالح** فعَنْ جُنْدَبٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، حَدَّثَ " أَنَّ رَجُلًا قَالَ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ " أَوْ كَمَا قَالَ[1]

7- **الكلمة الخبثة هلاك في الدنيا والآخره**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَرضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: **"إِذَا قَالَ الرَّجُلُ هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ"** [2]

قال ابن مفلح: بِرَفْعِ الْكَافِ قَالَ الْحُمَيْدِيُّ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ الصَّحِيحَيْنِ وَهُوَ أَشْهَرُ أَيْ: أَشَدُّهُمْ هَلَاكًا.

وَرُوِيَ أَهْلَكَهُمْ بِفَتْحِ الْكَافِ أَيْ جَعَلَهُمْ هَالِكِينَ؛ لِأَنَّهُمْ هَلَكُوا فِي الْحَقِيقَةِ وَهَذَا النَّهْيُ لِمَنْ قَالَ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الِاحْتِقَارِ وَالْإِزْرَاءِ عَلَى النَّاسِ وَتَفْضِيلِ نَفْسِهِ عَلَيْهِمْ فَإِنْ قَالَ ذَلِكَ تَحَزُّنًا لِمَا يَرَى مِنْ النَّقْصِ فِي أَمْرِ الدِّينِ

قَالَ الْخَطَّابِيُّ: مَعْنَاهُ لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَعِيبُ النَّاسَ وَيَذْكُرُ مَسَاوِيَهُمْ وَيَقُولُ: فَسَدَ النَّاسُ وَهَلَكُوا

وَنَحْوَ ذَلِكَ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ أَيْ: أَسْوَأُ حَالًا مِنْهُمْ بِمَا يَلْحَقُهُ مِنْ الْإِثْمِ فِي عَيْبِهِمْ وَالْوَقِيعَةِ فِيهِمْ وَرُبَّمَا أَدَّاهُ ذَلِكَ إلَى الْعَجَبِ بِنَفْسِهِ وَرُؤْيَتِهِ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْهُمْ.

ثم تأمل حال هذا الذي أفتى بغير علم فقتله السائل ولو سكت لسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّرضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ إِنْسَانًا ثُمَّ خَرَجَ يَسْأَلُ فَأَتَى رَاهِبًا فَسَأَلَهُ فَقَالَ لَهُ: هَلْ مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: لَا فَقَتَلَهُ، فَجَعَلَ يَسْأَلُ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: ائْتِ قَرْيَةَ كَذَا وَكَذَا فَأَدْرَكَهُ الْمَوْتُ فَنَاءَ بِصَدْرِهِ نَحْوَهَا، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى هَذِهِ أَنْ تَقَرَّبِي وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى هَذِهِ أَنْ تَبَاعَدِي، وَقَالَ: قِيسُوا. مَا بَيْنَهُمَا فَوُجِدَ إِلَى هَذِهِ أَقْرَبَ بِشِبْرٍ فَغُفِرَ لَهُ".

فأين هذا الجاهل في كلمته تلك من قول هذا الفقيه أبي الدرداء حيث مر على رجل قد أصاب ذنبا وكانوا يسبونه فقال: أرأيتم لو وجدتموه في قليب ألم تكونوا مستخرجيه قالوا بلى قال فلا تسبوا أخاكم واحمدوا الله الذي عافاكم قالوا أفلا تبغضه قال إنما أبغض عمله فإذا تركه فهو أخي. [3]

قال أبو حاتم: الواجبُ على العاقل أن يلزم الصمتَ إلى أن يلزمه التكلُّمُ، فما أكثرَ مَن ندم إذا نطق، وأقلَّ من يندم إذا سكت، وأطول الناس شقاءً وأعظمهم بلاءً من ابتُلي بلسانٍ مطلقٍ، وفؤادٍ مطبقٍ.

8- وقد تكون الكلمة في ظاهرها خير ولكنها عند الله عظيمة كما في حديث أبي هُرَيْرَةَرضي الله عنهقال: افْتَتَحْنَا خَيْبَرَ، وَلَمْ نَغْنَمْ ذَهَبًا وَلاَ فِضَّةً، إِنَّمَا غَنِمْنَا البَقَرَ وَالإِبِلَ وَالمَتَاعَ وَالحَوَائِطَ، ثُمَّ انْصَرَفْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى وَادِي القُرَى، وَمَعَهُ عَبْدٌ لَهُ يُقَالُ لَهُ مِدْعَمٌ، أَهْدَاهُ لَهُ أَحَدُ بَنِي الضِّبَابِ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَحُطُّ رَحْلَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذْ جَاءَهُ سَهْمٌ عَائِرٌ، حَتَّى أَصَابَ ذَلِكَ العَبْدَ، فَقَالَ النَّاسُ: هَنِيئًا لَهُ الشَّهَادَةُ، فَقَالَ

(1) صحيح مسلم (2621).
(2) مسلم (2623).
(3) جامع معمر بن راشد (11/ 20267/180)، و الزهد لأبي داود (ص: 232/211).

رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "بَلْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَصَابَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ مِنَ المَغَانِمِ، لَمْ تُصِبْهَا المَقَاسِمُ، لَتَشْتَعِلُ عَلَيْهِ نَارًا" فَجَاءَ رَجُلٌ حِينَ سَمِعَ ذَلِكَ مِنَ النَّبِيِّصلي الله عليه وسلم بِشِرَاكٍ أَوْ بِشِرَاكَيْنِ، فَقَالَ: هَذَا شَيْءٌ كُنْتُ أَصَبْتُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "شِرَاكٌ - أَوْ شِرَاكَانِ - مِنْ نَارٍ"[1]

وقد أنكر الله تعالى هذه الدعاوى الكلامية في كتابه على من ادعاها - حاكما على ما عند الله بغير علم - فقال: فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (15) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (16) كَلاَّ. . . (17)أي: ليس كل من أعطيته ونعّمته وخوّلته فقد أكرمته، وما ذاك لكرامته عليّ، ولكنه ابتلاء منّي وامتحان له، أيشكرني فأعطيه فوق ذلك، أم يكفرني فأسلبه إيّاه وأحوّله عنه لغيره؟ ، وليس كل من ابتليته فضيّقت عليه رزقه، وجعلته بقدر لا يفضل عنه، فذاك من هوانه عليّ، ولكنه ابتلاء وامتحان منّي له، أيصبر فأعطيه أضعاف ما فاته، أم يسخط فيكون حظّه السّخط؟.

وبالجملة: فأخبر تعالى أن الإكرام والإهانة لا يدوران على المال وسعة الرّزق وتقديره، فإنه سبحانه وتعالى يوسّع على الكافر لا لكرامته، ويقتر على المؤمن لا لهوانه عليه. [2]

9- **والكلام عمل اللسان وقد هون الناس اليوم من أعمال كانت عند السلف عظيمة؛** فعن أنسٍ أنه قال: إنَّكم لتعمَلُونَ أعمالاً هي في أعيُنِكُم أدقُّ من الشَّعر، كُنَّا نعدُّها على عهد رسول اللهصلى الله عليه وسلم مِنَ المُوبِقاتِ. ولا شك أن من ذلك ما نسمعه من كلام في أمور عظام فمن الناس من يعدها بجهله من القرب العظام وهي من البلايا والطوام كهؤلاء الذين نسمع منهم: فلا شهيد وفلان في الجنة حتى قالوا في النصراني شهيد وفي الجنة. . .

أو فلان ليس من الإسلام في شيء وليس له في الجنة نصيب وربما قيلت فيمن هو من أفضل أهل زمانه وأهل هذه المقالات يعدونها قربة ويكفي في الرد على هؤلاء ما سبق سياقه من أحاديث فيمن قنط الناس من رحمه الله وفيمن تألى على الله. وتزداد خطورة الإثم، ويعظم الذنب، وتكبر المعصية إذا كان الجرح والكلام في علماء الأمة، فهم سادة الأمة، وحراس الشريعة، وسياجها، ونجوم الأرض، فإذا انطفأت أتي الأرض ما توعد، ولا خير في قوم لا يعرفون للعلماء قدرهم ومكانتهم، ولا يعطونهم حقهم من الاحترام والتوقير، وقد قيل: لحوم العلماء مسمومة، وقال ابن عساكر: ((لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك منتقصيهم معلومة، ومن وقع فيهم بالقلب، ابتلاه الله قبل موته بموت قلبه)). فعلي الإنسان المسلم أن يتق الله، ويخشاه، ويراقبه، ويشعر أن الله معه ويتيقن أن الله يسجل حركاته وسكناته وألفاظه، وهو يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ويجب عليه أن يتريث قبل أن يبدأ بجرح أحد من الناس؛ لكي يكون متزن في حكمه بعيدا عن الظلم.

10- وثم فريق آخر يتكلم وهو لا يبالي ثم يقول هذا كلام وهل على الكلام حساب أو مؤاخذة!

وهؤلاء لا يفقهون، فدخول العبد في الإسلام بكلمة ويخرج منه أيضًا بكلمة.

فتكلم أناس في دين الله وفي حدوده وفي شرعه وفي أعراض عباده بما ليس لهم به علم يحسبونه هينا وهو عند الله عظيم

(1) البخاري (4234).
(2) تجريد التوحيد المفيد (ص: 39)

* وفي أشباهم قال الله تعالى: {**يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِؤُواْ إِنَّ اللّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ (64) وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ (65) لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ** }

قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَنْ عَدَّ كَلَامَهُ مَنْ عَمَلِهِ، قَلَّ كَلَامُهُ إِلَّا فِيمَا يَعْنِيهِ.

ذكر شيء مما يعين على حفظ اللسان:

أ- مما يعين على ذلك أن يتدبر في الرِّقابةِ المتنوعة على اللسان في نصوص القرآن الكريم: قال الله تعالى: {**إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**} [قّ: 17- 18]. بل الله سبحانه وتعالى مع كل نجوى بعلمه، قال تعالى: {**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**} [المجادلة: 7] فسبحان من أحاط بكل شيء علماً. وانظر إلى كشف المخافتة في القول: {فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ * أَنْ لا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ} [القلم: 23- 24]. واللفظ لأهميته دليل مادي قائم على حقيقة اللأَّفظ، قال الله تعالى: {وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ} [محمد: من الآية30] وقال تعالى: {قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ} [آل عمران: من الآية118].

ب- **معرفة الجزاء على حفظ المنطق**

ومنه حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ- يريد لسانه- وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ- يريد فرجه- أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ"(1)

قال ابن عبد البر: في هذا الحديث دليل على أن أكبر الكبائر وإنما هي من الفم والفرج وما بين اللحيين الفم وما بين الرجلين الفرج ومن الفم ما يتولد من اللسان وهو كلمة الكفر وقذف المحصنات وأخذ أعراض المسلمين ومن الفم أيضا شرب الخمر وأكل الربا وأكل مال اليتيم ظلما ومن الفرج الزنى واللواط. (2)

قال ابن حجر في شرح هذا الحديث: (فالمعنى من أدّى الحقّ الّذي على لسانه من النّطق بما يجب عليه أو الصّمت عمّا لا يعنيه - ضمن له الرسول صلى الله عليه وسلمالجنة -. . . فإن النطق باللسان أصل في حصول كل مطلوب فإذا لم ينطق به إلا في خير سلم وقال بن بطال دل الحديث على أن أعظم البلاء على المرء في الدنيا لسانه وفرجه فمن وقي شرهما وقي أعظم الشر)(3)

ج- سلامة الناس من لسان العبد من كمال إسلامه

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو^، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ"(4)

---

(1) البخاري (6474).
(2) الاستذكار (8/ 565)
(3) ((فتح الباري)) لابن حجر (11/ 309 - 310).
(4) البخاري (10).

د- **وهي من أفضل خصال الإسلام** كما في حديث أَبِي مُوسَىرضي الله عنهقَالَ: قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الإِسْلاَمِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: "مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ، وَيَدِهِ"[1]

د- **وقد يشغل المرء نفسه بالكلام فيما لايعنيه وهو يرى أن ذلك من المباح وقد وجعل النبي** صلى الله عليه وسلم **من حسن الإسلام أن يسكت عما لا يعنيه.**

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه"[2]

قَالَ أبو داود: كَتَبْتُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم خَمْسَمِائَةِ أَلْفِ حَدِيثٍ، انْتَخَبْتُ مِنْهَا مَا تَضَمَّنَهُ هَذَا الْكِتَابُ - يَعْنِي كِتَابَ " السُّنَنِ " - جَمَعْتُ فِيهِ أَرْبَعَةَ آلَافٍ وَثَمَانِمِائَةِ حَدِيثٍ، وَيَكْفِي الْإِنْسَانَ لِدِينِهِ مِنْ ذَلِكَ أَرْبَعَةُ أَحَادِيثَ: أَحَدُهَا: قَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ"، وَالثَّانِي: قَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم "مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ، " وَالثَّالِثُ: قَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم "لَا يَكُونُ الْمُؤْمِنُ مُؤْمِنًا حَتَّى لَا يَرْضَى لِأَخِيهِ إِلَّا مَا يَرْضَى لِنَفْسِهِ"، وَالرَّابِعُ: قَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم: "الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ".

وَلِلْحَافِظِ أَبِي الْحَسَنِ طَاهِرِ بْنِ مُفَوِّزٍ الْمُعَافِرِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ:

عُمْدَةُ الدِّينِ عِنْدَنَا كَلِمَاتٌ. . . أَرْبَعٌ مِنْ كَلَامِ خَيْرِ الْبَرِيَّهْ

اتَّقِ الشُّبُهَاتِ وَازْهَدْ وَدَعْ مَا. . . لَيْسَ يَعْنِيكَ وَاعْمَلَنَّ بِنِيَّهْ[3]

قال ابن رجب: وَمَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ: أَنَّ مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِهِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ مِنْ قَوْلٍ وَفِعْلٍ، وَاقْتَصَرَ عَلَى مَا يَعْنِيهِ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ؛ وَمَعْنَى يَعْنِيهِ: أَنَّهُ تَتَعَلَّقُ عِنَايَتُهُ بِهِ، وَيَكُونُ مِنْ مَقْصِدِهِ وَمَطْلُوبِهِ، وَالْعِنَايَةُ: شِدَّةُ الِاهْتِمَامِ بِالشَّيْءِ، يُقَالُ عَنَاهُ يَعْنِيهِ: إِذَا اهْتَمَّ بِهِ وَطَلَبَهُ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُ يَتْرُكُ مَا لَا عِنَايَةَ لَهُ بِهِ وَلَا إِرَادَةَ بِحُكْمِ الْهَوَى وَطَلَبِ النَّفْسِ، بَلْ بِحُكْمِ الشَّرْعِ وَالْإِسْلَامِ وَلِهَذَا جَعَلَهُ مِنْ حُسْنِ الْإِسْلَامِ، فَإِذَا حَسُنَ إِسْلَامُ الْمَرْءِ، تَرَكَ مَا لَا يَعْنِيهِ فِي الْإِسْلَامِ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، فَإِنَّ الْإِسْلَامَ يَقْتَضِي فِعْلَ الْوَاجِبَاتِ. . . وَأَكْثَرُ مَا يُرَادُ بِتَرْكِ مَا لَا يَعْنِي حِفْظُ اللِّسَانِ مِنْ لَغْوِ الْكَلَامِ[4].

فيا أخي الحبيب قل خيرًا تغنم واسكت عن شرٍّ تسلم، والحمد لله رب العالمين

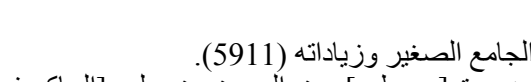

(1) البخاري (11).
(2) قال الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته (5911).
(صحيح) [ت هـ] عن أبي هريرة [حم طب] عن الحسين بن علي [الحاكم في الكنى] عن أبي بكر الشيرازي وعن أبي ذر [الحاكم في تاريخه] عن علي بن أبي طالب عن زيد ابن ثابت [ابن عساكر] عن الحارث بن هشام. الروض النضير 293، 321، شرح العقيدة الطحاوية 268، 345. وانظر: صحيح المشكاة (4839)، وتحقيق كتاب الإيمان لابن تيمية (49).
(3) جامع العلوم والحكم (1/62و63).
(4) جامع العلوم والحكم (1/287و288).

2ـ احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ

عناصر الخطبة:

بين يديّ الحديث شرح مفردات الحديث

عن أبي العباس عبد الله بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمًا فَقَالَ: **" يَا غُلاَمُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ؛ احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ: أَنَّ الأمة لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الأَقْلاَمُ، وَجَفَّتْ الصُّحُفُ" وعند أحمد: " يَا غُلاَمُ، أَوْ يَا غُلَيِّمُ، أَلا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهِنَّ؟ " فَقُلْتُ: بَلَى. فَقَالَ: " احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ، يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، وَإِذَا سَأَلْتَ، فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ، فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ عَلَيْكَ، (2) لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ عَلَيْكَ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا".** [1]

بين يديّ الحديث:

هذا الحديث يتضمن وصايا عظيمة وقواعد كلية من أهم أمور الدين، حتى قال بعض العلماء عنه: تدبرتُ هذا الحديث فأدهشني؛ وكدت أطيش. وقال بعضهم: إذا أردت أن توصي صاحبك أو أخاك أو أبنك فقل له: احفظ الله يحفظك. وقال سليمان بن داود عليهما السلام: تعلمنا مما تعلم الناس ومما لم يُتعلم الناس فما وجدنا كحفظ الله في السر والعلن. وكان الإمام ابن الجوزي يسميه: **الحديث المُدهش**. [2]

شرح مفردات الحديث

قَولَه صلى الله عليه وسلم: **" يَا غُلاَمُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ "**

فهو - بأبي هو وأمي - صلى الله عليه وسلم مُربي وأسوة وقدوة وإمام، بل ولخص للغلام المبارك ابن عباس العقيدة في تلك الكلمات المختصرة الموجودة في ذلك الحديث المُبارك. والاهتمام بالتربية والنصح والتوجيه سمة المؤمنين والصالحين أجمعين، انظروا إلي وصية يعقوب عليه السلام وهو علي فراش الموت كما قال تعالي حكاية عنه: {**أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ: مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي** } انظروا وهو علي فراش الموت يطمئن علي عقيدة أولاده من بعده التي لطالما علمّهُم إياها، فقَالُوا: {**نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**} ثم انظروا إلي الخليل إبراهيم عليه السلام أيضاً كما قال الله تعالي: {**وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ: يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ**}. والصبي أمانة عند والديه،

---

(1) رواه أحمد (293/1) والترمذي (2516). من طريق الليث بن سعد عن قيس بن الحجاج عَنْ حَنَشٍ الصَّنْعَانِيِّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قال الترمذي: حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في صحيح الترمذي (2043)

(2) جامع العلوم والحكم (1/ 462)

وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة فإن عُوِّد الخير وعُلِّمه نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة. وإن عُوِّد الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلَك وصيانته بأن يؤدبه أبوه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق، ويحفظه من قرناء السوء ومهما رأي فيه مخايل التمييز فإنه ينبغي أن يُحسن مراقبته. (1)

قَولَه صلى الله عليه وسلم: " **احفَظ اللهَ يَحفَظكَ** "

الفعل واحد، وأسند مرتين: مرة إلى العبد، ومرة إلى المولى سبحانه.

والحفظ معناه أن تحفظ أمر الله وأن تتقه، فلا يراك حيث نهاك، وأن تحفظ حدود الله ومراسمه التي أوجبها عليك، فلا تُضيع منها شيئًا. وحفظ الله هو تقواه حفظ أوامره ونواهيه أي بفعل الواجبات جميعا وترك المحرمات كلها وكن مطيعا لربك مؤتمراً بأوامره منتهياً عن نواهيه. (2)

ومن الأشياء التي يجب حفظها؛ بل أعظم ما يجب حفظه:

1 - **حفظ اللّه في أسمائه وصفاته**: فأنت أيها العبد مطالب أن تحفظ الله في كل شيء، فيما توجه إليك من أوامره، وفيما توجه إليك من نواهيه، ومما يجب له عليك أن تحفظه من أن تنسب إليه ما لا يليق بجلاله، فحفظ العبد لربه في ذات الله بأن يصف الله بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم.

2 – **حفظ اللّه في العبادات**:

المحافظة على الصلاة: اعلم أن الأمر بالمحافظة على الصلاة أمر بالمحافظة على جميع شرائطها، أعني طهارة البدن، والثوب، والمكان، والمحافظة على ستر العورة، واستقبال القبلة، والمحافظة على جميع أركان الصلاة، والمحافظة على الاحتراز عن جميع مبطلات الصلاة سواء كان ذلك من أعمال القلوب أو من أعمال اللسان، أو من أعمال الجوارح، وأهم الأمور في الصلاة، رعاية النية فإنها هي المقصود الأصلي من الصلاة، قال تعالى: {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ} (البقرة:238) وَمَدَحَ الْمُحَافِظِينَ عَلَيْهَا بِقَوْلِهِ: {وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ} [المعارج: 34] [الْمَعَارِجِ: 34]. (3)

واعلَم أن حفظ الصلاة للمصلي على ثلاثة أوجه:

الأول: أن الصلاة تحفظه عن المعاصي، قال تعالى: {إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ} [العنكبوت: 45] فمن حفظ الصلاة حفظته الصلاة عن الفحشاء

والثاني: أن الصلاة تحفظه من البلايا والمحن، قال تعالى: { واستعينوا بالصبر والصلاة } [البقرة: 153] وقال تعالى: { وَقَالَ الله إِنّى مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصلاة وَءاتَيْتُمْ الزكواة } [المائدة: 12] ومعناه: إني معكم بالنصرة والحفظ إن كنتم أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة

(1) إحياء علوم الدين 3 / 73 تعطير الأنفاس عباس (ص: 9)
(2) جامع العلوم والحكم (1/ 462) شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد (ص: 76) مرقاة المفاتيح شرح (8/ 3323) شرح الأربعين النووية لعطية سالم (43/ 7) شرح الأربعين النووية - العباد (7/ 11)
(3) جامع العلوم والحكم (1/ 462) شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد (ص: 76)شرح الأربعين النووية للعثيمين (ص: 201) شرح الأربعين النووية لعطية سالم (43/ 7) شرح الأربعين النووية - العباد (7/ 11)

والثالث: أن الصلاة تحفظ صاحبها وتشفع لمصليها، قال تعالى: { وَأَقِيمُواْ الصلاة وَءَاتُواْ الزكاة وَمَا تُقَدّمُواْ لأَنْفُسِكُم مّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ الله } [البقرة: 110] ولأن الصلاة فيها القراءة، والقرآن يشفع لقارئه، وهو شافع مشفع وفي الخبر: " إنه تجيء البقرة وآل عمران كأنهما عمامتان
فيشهدان ويشفعان " [1]

2ـ **وممَّا يُؤمر بحفظه الأيمانُ**:

قال الله تعالى: {وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (89)} [المائدة: 89]فإنَّ الأيمان يقع الناس فيها كثيراً، ويُهْمِل كثيرٌ منهم ما يجب بها، فلا يحفظه، ولا يلتزمه.

3ـ **حفظ الله باجتناب المعاصي**:

وهكذا من حفظ الله ترك المحرمات والمعاصي، فلا يقدم عليها عمداً، بخلاف من زلت به قدمه، والإنسان غير معصوم، وبعدما تزل به القدم في المعصية، يحس بأوساخه فيقوم فينفض الغبار عنه، ويغسل درنه بتوبة واستغفار، فهذا عبد الله حقاً.

4 - ومن ذلك حفظُ الرأس والبطن فعن ابن مسعود((الاستحياءُ من الله حَقَّ الحياء أنْ تَحْفَظَ الرأس وما وَعَى، وتحفظ البطنَ وما حوى)) [2]

وحفظ الرأس وما وعى يدخل فيه حفظُ السَّمع والبصر واللسان من المحرمات، وحفظُ البطن وما حوى يتضمن حفظ القلب عَنِ الإصرار على محرم. قال الله - عز وجل -: {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ}البقرة: 235. وقد جمع الله ذلك كُلَّه في قوله: {إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً}الإسراء: 36. ويتضمن أيضاً حفظُ البطنِ من إدخال الحرام إليه من المآكل والمشارب. [3]

وقوله صلى الله عليه وسلم: ((يحفظك))

يحفظك جواب فعل الأمر يعني: أنَّ من حفظَ حدود الله، وراعى حقوقَه، حفظه الله، فإنَّ الجزاء من جنس العمل، كما قال تعالى: {وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ}البقرة: 40. وقال: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ} البقرة: 152. وقال: {إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ} محمد: 7.

وحفظ الله لعبده يدخل فيه نوعان:

أحدهما: حفظه له في مصالح دنياه، كحفظه في بدنه وولده وأهله وماله، قال الله - عز وجل -: {لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ} الرعد: 11.

قال ابن عباس: هم الملائكة يحفظونَهُ بأمرِ الله، فإذا جاء القدر خَلُّوْا عنه [4]

ومَنْ حفظ الله في صباه وقوَّته، حفظه الله في حال كبَره وضعفِ قوّته، ومتَّعه بسمعه وبصره وحولِه وقوَّته وعقله.

---

(1) أخرجه: الطيالسي (996)، وأحمد 276/5 و280 و282، وصححه الألباني في صحيح المشكاة (12).
(2) أخرَّجه أحمد 387/1، والترمذي (2458) . وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (2000).
(3) شرح الأربعين النووية لعطية سالم (43/ 10) شرح الأربعين النووية - العباد (7/ 11)
(4) الطبري (15345).

كان بعض العلماء قد جاوز المئة سنة وهو ممتَّعٌ بقوَّتِه وعقله، فوثب يوماً وثبةً شديدةً، فعُوتِبَ في ذلك، فقال: هذه جوارحُ حفظناها عَنِ المعاصي في الصِّغر، فحفظها الله علينا في الكبر[1]. وعكس هذا أنَّ بعض السَّلف رأى شيخاً يسأل الناسَ، فقال: إنَّ هذا ضيَّع الله في صغره، فضيَّعه الله في كبره. وقد يحفظُ الله العبدَ بصلاحه بعدَ موته في ذريَّته كما قيل في قوله تعالى: {وَكَانَ أَبُوْهُمُا صَالِحاً} الكهف: 82. : أنَّهما حُفِظا بصلاح أبيهما. قال سعيد بن المسيب لابنه: لأزيدنَّ في صلاتي مِنْ أجلِك، رجاءَ أنْ أُحْفَظَ فيكَ، ثم تلا هذه الآية {وَكَانَ أَبُوْهُمُا صَالِحاً} وقال عمرُ بن عبد العزيز: ما من مؤمن يموتُ إلاَّ حفظه الله في عقبه وعقبِ عقبه. وقال ابن المنكدرِ: إنَّ الله ليحفظُ بالرجل الصالح ولدَه وولدَ ولده والدويرات التي حوله فما يزالونَ في حفظ من الله وستر. ومتى كان العبد مشتغلاً بطاعة الله، فإنَّ الله يحفظه في تلك الحال فمن حفظ الله حَفِظَهُ الله من كُلِّ أذى.

النوع الثاني من الحفظ، وهو أشرف النوعين: حفظُ الله للعبد في دينه وإيمانه، فيحفظه في حياته من الشبهات المُضِلَّة، ومن الشهوات المحرَّمة، ويحفظ عليه دينَه عندَموته، فيتوفَّاه على الإيمان.

وعن البراء بن عازب أن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: أمره أنْ يقولَ عندَ منامه: إنْ قبضتَ نفسي فارحمها، وإنْ أرسلتَها فاحفظها بما تحفظُ به عبادَك الصالحين. [2]

وفي الجملة، فالله - عز وجل - يحفظُ على المؤمن الحافظ لحدود دينَه، ويحولُ بينَه وبين ما يُفسد عليه دينَه بأنواعٍ مِنَ الحفظ، وقد لا يشعرُ العبدُ ببعضها، وقد يكونُ كارهاً له، كما قال في حقِّ يوسُف|: {كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا لْمُخْلَصِينَ}يوسف: 24. [3]

وقوله صلى الله عليه وسلم: ((**احفظ الله تجده تجاهك**))، وفي رواية: ((أمامك))

المعنى: تجده حيث ما توجهت. أي إنَّ مَنْ حَفِظَ حُدودَ الله، وراعى حقوقه، وجد الله معه في

كُلِّ أحواله حيث توجَّه يَحُوطُهُ وينصرهُ ويحفَظه ويوفِّقُه ويُسدده قال تعالى {إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} النحل: 128. قال قتادة: من يتق الله يكن معه، ومن يكن الله معه، فمعه

الفئة التي لا تُغلب، والحارس الذي لا ينام، والهادي الذي لا يضل.[4]

فهذه المعيةُ الخاصةُ تقتضي النَّصر والتَّأييدَ، والحفظ والإعانة بخلاف المعية العامة المذكورة في قوله تعالى: {مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا} المجادلة: 7، وقوله: {وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ} النساء: 108، فإنَّ هذه المعية تقتضي علمَه واطِّلاعه ومراقبته لأعمالهم، فهي مقتضيةٌ لتخويف العباد منه، والمعية الأولى تقتضي حفظ

(1) سير أعلام النبلاء 668/17.
(2) أخرجه: البخاري 145/9 (7393)، ومسلم 79/8 (2714).
(3) انظر: حلية الأولياء 261/9 جامع العلوم والحكم (2/ 560) شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد (ص: 76)شرح الأربعين النووية للعثيمين (ص: 201) شرح الأربعين النووية لعطية سالم (47/ 7).
(4) التفسير القيم لابن القيم - (ج 2 / ص 300)

العبد وحياطَتَه ونصرَه، فمن حفظ الله، وراعى حقوقه، وجده أمامَه وتُجاهه على كُلِّ حالٍ، فاستأنس به، واستغنى به عن خلقه. (1)

قوله صلى الله عليه وسلم: **((تعرَّف إلى الله في الرَّخاء، يعرفكَ في الشِّدَّةِ))** يعني: أنَّ العبدَ إذا اتَّقى الله، وحَفِظَ حدودَه، وراعى حقوقه في حال رخائه، فقد تعرَّف بذلك إلى الله، وصار بينه وبينَ ربه معرفةٌ خاصة، فعرفه ربُّه في الشدَّة، ورعى له تَعَرُّفَهُ إليه في الرَّخاء، فنجَّاه من الشدائد بهذه المعرفة،

وهذه معرفة خاصة تقتضي قربَ العبدِ من ربِّه، ومحبته له، وإجابته لدعائه.

فمعرفة العبد لربه نوعان:

أحدُهما: المعرفةُ العامة، وهي معرفةُ الإقرار به والتَّصديق والإيمان، وهذه عامةٌ للمؤمنين.

والثاني: معرفة خاصة تقتضي ميلَ القلب إلى الله بالكلية، والانقطاع إليه، والأُنس به، والطمأنينة بذكره، والحياء منه، والهيبة له، وهذه المعرفة الخاصة هي التي يدور حولها العارفون.

ومعرفة الله أيضاً لعبده نوعان:

معرفة عامة وهي علمه سبحانه بعباده، واطِّلاعه على ما أسرُّوه وما أعلنوه، كما قال: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ} ق: 16. ، وقال: {هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ} النجم: 32.

والثاني: معرفة خاصة: وهي تقتضي محبته لعبده وتقريبَه إليه، وإجابةَ دعائه، وإنجاءه من الشدائد، وهي المشار إليها بقولهصلى الله عليه وسلم فيما يحكى عن ربِّه: ((ولا يزالُ عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنَّوافِل حتَّى أُحِبَّه، فإذا أحببتُه، كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصرَه الذي يُبصرُ به، ويدَه التي يبطِشُ بها، ورجلَه التي يمشي بها، فلئن سألني، لأُعطِيَنَّهُ، ولئن استعاذني لأعيذنَّه))، (2)

قوله: (**إذا سألت فاسأل الله) انتقل الحديث إلى جانب مهم من جوانب العقيدة**

أرشده إلى التوكل على مولاه وأن لا يتخذ إليها سواه ولا يتعلق بغيره في جميع أموره ما قل منها وما كثر قال الله تعالى: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} الطلاق: الآية 3. فبقدر ما يركن الشخص إلى غير الله تعالى بطلبه أوبقلبه أو بأمله فقد أعرض عن ربه بمن لا يضره ولا ينفعه وكذلك الخوف من غير الله وقد أكد النبي صلى الله عيه وسلم ذلك فقال: "واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعونك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك" وكذلك في الضر وهذا هو الإيمان بالقدر والإيمان به واجب خيره وشره وإذا تيقن المؤمن هذا فما فائدة سؤال غير الله والاستعانة به؟

وهذا كأنه منتزع من قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} وقال تعالى: {وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ} [النساء: من الآية32] ولا يحصل للعبد مطلوبه إلا إذا كان سائلاً الله مستعيناً به وحده، معتمداً عليه في جميع أموره وفي هذا الحديث حصر الاستعانة بالله وحده دون غيره

(1) جامع العلوم والحكم (2/ 561) شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد (ص: 76) شرح الأربعين النووية لعطية سالم (55/ 7) تعطير الأنفاس (1 / 1) شرح الأربعين النووية - العباد (7/ 11)
(2) جامع العلوم والحكم (2/ 567) شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد (ص: 77) .

من الخلق، والدلالة على أنها أجلّ العبادات، وعليها مدار الدين، فإذا استعان أحد بغير الله فهو مشرك الشرك الأكبر فإنَّ السؤال لله هو دعاؤُه والرغبةُ إليه، والدُّعاء هو العبادة [1]

وأما السؤال، فقد أمر الله بمسألته، فقال: {**وَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ**} فالله تعالى هو وحده المدعو والمرجو، والمبتغى المطلوب بالعبادة، وهو أيضاً وحده المستعان، وعليه التكلان لتحقيق ما نريد، ونحن فقراء إلى الله تبارك وتعالى في معرفته ومعرفة الحق الذي يوصل إليه، كما أننا فقراء إلى

عونه عز وجل؛ لكي نستطيع أن نعبده، فنرضيه تبارك وتعالى وننال جنته. [2]

وإن من تمام هذه العبادة ترك سؤال الناس، فإن في سؤالهم تذلل لهم ومهانة للنفس، ولا يسلم سؤالهم من منّة أو جرح للمشاعر، أو نيل من الكرامة، كما قال طاووس لعطاء رحمهما الله: " إياك أن تطلب حوائجك إلى من أغلق دونك بابه، وجعل دونك حجابه، وعليك بمن بابه مفتوح إلى يوم القيامة، أمرك أن تسأله، ووعدك أن يجيبك "، وصدق أبو العتاهية إذ قال:

لا تسألن بني آدم حاجـــة وسل الذي أبوابه لا تُحجب
فاجعل سؤالك للإله فإنمـا في فضل نعمة ربنـا تتقلب

وفي قوله: (وإذا استعنت فاستعن بالله):

وأما الاستعانة بالله - عز وجل - دونَ غيره من الخلق؛ فلأنَّ العبدَ عاجزٌ عن الاستقلال بجلب مصالحه، ودفع مضارّه، ولا معين له على مصالح دينه ودنياه إلا الله - عز وجل -، فمن أعانه الله، فهو المُعانُ، ومن خذله فهو المخذولُ، وهذا تحقيقُ معنى قول: ((لا حول ولا قُوَّةَ إلا بالله))، فإنَّ المعنى: لا تَحوُّلَ للعبد مِنْ حال إلى حال، ولا قُوَّة له على ذلك إلا بالله، وهذه كلمةٌ عظيمةٌ، وهي كنز من كنوز الجنة، فالعبدُ محتاجٌ إلى الاستعانة بالله في فعل المأمورات، وترك المحظورات، والصبر على المقدورات كلِّها في الدنيا وعندَ الموت وبعده من أهوال البرزخ ويوم القيامة، ولا يقدر على الإعانة على ذلك إلا الله - عز وجل -، فمن حقق الاستعانة عليه في ذلك كله أعانه. وفي الحديث الصحيح عَنِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: ((احرصْ على ما ينفعُكَ واستعن بالله ولا تعجزْ)) [3]

ومن ترك الاستعانة بالله، واستعان بغيرِه، وكَلَهُ الله إلى من استعان به فصار مخذولاً. كتب الحسنُ إلى عُمَرَ بنِ العزيز: لا تستعِنْ بغيرِ الله، فيكِلَكَ الله إليه. ومن كلام بعضِ السَّلف: يا ربِّ

عَجبت لمن يعرفُك كيف يرجو غيرك، عجبتُ لمن يعرفك كيف يستعينُ بغيرك. [4]

والأمر بطلب العون من الله تعالى دون غيره؛ لأن العبد من شأنه الحاجة إلى من يعينه في أمور معاشه ومعاده، ومصالح دنياه وآخرته، وليس يقدر على ذلك إلا الحي القيوم، الذي بيده خزائن السموات والأرض، فمن أعانه الله فلا خاذل له، ومن خذله الله فلن تجد له معينا

(1) جامع العلوم والحكم (1/ 462) شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد (ص: 76)شرح الأربعين النووية للعثيمين (ص: 201) تعطير الأنفاس (1 / 1) شرح الأربعين النووية لعطية سالم (47/ 7)
(2) جامع العلوم والحكم (2/ 567) قوت المغتذي (2/ 605) تعطير الأنفاس (ص: 24)
(3) أخرجه: مسلم 56/8
(4) جامع العلوم والحكم (2/ 573) شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد (ص: 76)شرح الأربعين النووية للعثيمين (ص: 201) تعطير الأنفاس (1 / 1)

ونصيرا، قال تعالى: { إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده } (آل عمران: 160)، ولهذا المعنى كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر من قول: (اللهم أعني ولا تعن علي)، وأمر معاذا رضي الله عنه، ألا يدع في
دبر كل صلاة أن يقول (اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك).[1]

قوله صلى الله عليه وسلم: ((جفَّ القلمُ بما هو كائنٌ)) وفي روايةٍ أخرى: (رُفِعت الأقلام، وجفَّت الصحف)

هو كنايةٌ عن تقدُّم كتابة المقادير كلِّها، والفراغ منها من أمدٍ بعيد، فإنَّ الكتابَ إذا فُرِغَ من كتابته، ورفعت الأقلامُ عنه، وطال عهده، فقد رُفعت عنه الأقلام، وجفتِ الأقلام التي كتب بها مِنْ مدادها، وجفت الصَّحيفة التي كتب فيها بالمداد المكتوب به فيها، وهذا من أحسن الكنايات وأبلغِها. وأنَّ ذلك أمر ثابت لا يبدل، ولا ينسخ، ولا يغير عمَّا هو عليه". (2)

وقد دلَّ الكتابُ والسنةُ الصحيحة الكثيرة على مثل هذا ، قال الله تعالى: {**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ**} الحديد: 22. وعن عبد الله بن عمرو، عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ، قال: ((إنَّ الله كتبَ مقاديرَ الخلائق قبل أنْ يخلُقَ السَّماوات والأرض بخمسين ألفَ سنة)). (3) وعن جابر: أنَّ رجلاً قال: يا رسول الله، فيمَ العمل اليوم؟ أفيما جفَّت به الأقلامُ، وجرت به المقادير، أم فيما يستقبل؟ قال: ((لا، بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير))، قال: ففيم العملُ؟ قال: ((اعملوا فكلٌّ ميسَّر لما خلق له)). (4) وعن عبادة بن الصامت، عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: ((إنَّ أوَّل ما خلق الله القلم، ثم قال: اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة)) (5)

قوله صلى الله عليه وسلم: ((**فلو أنَّ الخلق جميعاً أرادوا أنْ ينفعوك بشيء لم يقضِهِ الله، لم يقدِرُوا عليه، وإنْ أرادوا أنْ يضرُّوك بشيءٍ لم يكتبه الله عليك، لم يقدروا عليه**)).

فالمراد: إنَّ ما يُصيب العبدَ في دنياه مما يضرُّه أو ينفعه، فكلُّه مقدَّرٌ عليه، ولا يصيبُ العبدَ إلا ما كُتِبَ له من ذلك في الكتاب السابق، ولو اجتهد على ذلك الخلق كلهم جميعاً.

وقد دلَّ القرآنُ على مثل هذا في قوله تعالى: {قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا} التوبة: 51. وقوله: {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا} الحديد: 22.

واعلم أنَّ مدارَ جميع هذه الوصية على هذا الأصل، وما ذُكِر قبلَه وبعدَه، فهو متفرِّعٌ عليه،

---

(1) أبو داود (1522)، وأحمد (5/ 244)، والنسائي (3/ 53) وقال الحافظ: هذا حديث صحيح " نتائج الأفكار " (2/ 297) وصححه الألباني في "صحيح سنن أبي داود" (1347).
(2) قوت المغتذي على (2/ 605)
(3) مسلم (2653)
(4)صحيح مسلم 47/8 (2648).
(5) أخرجه: أحمد 317/5، وأبو داود (4700)، والترمذي (2155) و (3319). جامع العلوم والحكم (2/ 573) شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد (ص: 76)شرح الأربعين النووية للعثيمين (ص: 201).

وراجعٌ إليه، فإنَّ العبد إذا علم أنَّه لن يُصيبَه إلا ما كتبَ الله له مِنْ خير وشرٍّ، ونفعٍ وضرٍّ، وأنَّ اجتهادَ الخلق كلِّهم على خلاف المقدور غيرُ مفيد البتة، علم حينئذٍ أنَّ الله وحده هو الضَّارُّ النَّافعُ، المعطي المانع، فأوجبَ ذلك للعبدِ توحيدَ ربِّه - عز وجل -، وإفرادَه بالطاعة، وحفظَ حدوده، فإنَّ المعبود إنَّما يقصد بعبادته جلبَ المنافع ودفع المضار، ولهذا ذمَّ الله من يعبدُ من لا ينفعُ ولا يضرُّ، ولا يُغني عن عابدِهِ شيئاً، فمن علم أنَّه لا ينفعُ ولا يضرُّ، ولا يُعطي ولا يمنعُ غيرُ الله، أوجبَ له ذلك إفراده بالخوف والرجاء والمحبة والسؤال والتضرُّع والدعاء، وتقديم طاعته على طاعةِ الخلق جميعاً، وأنْ يتّقي سخطه، ولو كان فيه سخطُ الخلق جميعاً، وإفراده بالاستعانة به، والسؤال له، وإخلاص الدعاء له في حال الشدَّة وحال الرَّخاء، بخلاف ما كان المشركون عليه من إخلاص الدعاء له عندَ الشدائد، ونسيانه في الرخاء، ودعاء من يرجون نفعَه مِنْ دُونِه، قال الله - عز وجل -: {قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ} الزمر: 38. وَمَا ذُكِرَ مِنْ هَذِهِ الْوَصَايَا النَّبَوِيَّةِ لَا يُنَافِي الْقِيَامَ بِالْأَسْبَابِ فَإِنَّهَا مِنْ جُمْلَةِ سُؤَالِهِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِهِ فَإِنَّ مَنْ طَلَبَ
رِزْقَهُ بِسَبَبٍ مِنْ أَسْبَابِ الْمَعَاشِ الْمَأْذُونِ فِيهَا رُزِقَ. (1)

قوله صلى الله عليه وسلم: **((واعلم أنَّ في الصَّبر على ما تكره خيراً كثيراً))**

يعني: أنَّ ما أصاب العبدَ مِنَ المصائب المؤلمةِ المكتوبة عليه إذا صبر عليها، كان له في الصبر خيرٌ كثير. فإنِ استطعتَ أنْ تعمل لله بالرِّضا في اليقين فافعل، وإنْ لم تستطع، فإنَّ في الصَّبر على ما تكره خيراً كثيراً. وأنْ تعلم أنَّ ما أصابَك لم يكن ليخطئك، وأنَّ ما أخطأك لم يكن ليصيبك، فإذا أنتَ أحكمتَ باب اليقين. ومعنى هذا أنَّ حصول اليقين للقلب بالقضاء السابق والتقدير الماضي يُعين العبد على أنْ ترضى نفسُه بما أصابه، فمن استطاع أنْ يعمل في اليقين بالقضاء والقدر على
الرضا بالمقدور فليفعل، فإنْ لم يستطع الرِّضا، فإنَّ في الصَّبر على المكروه خيراً كثيراً.

فهاتان درجتان للمؤمن بالقضاء والقدر في المصائب:

إحداهما: أنْ يرضى بذلك، وهذه درجةٌ عاليةٌ رفيعة جداً، قال الله - عز وجل -: {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ} التغابن: 11. وعن أنس، عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: ((إنَّ الله إذا أحبَّ قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط)) (2)، وكان النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه: ((أسألُكَ الرِّضا بعد القضاء)) (3)

والدرجة الثانية: أنْ يصبرَ على البلاء، وهذه لمن لم يستطع الرِّضا بالقضاء، فالرِّضا فضلٌ مندوبٌ إليه مستحب، والصبرُ واجبٌ على المؤمن حتمٌ، وفي الصَّبر خيرٌ كثيرٌ، فإنَّ الله أمرَ به، ووعدَ عليه جزيلَ الأجر. قال الله - عز وجل -: {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ

(1) سبل السلام (2/ 648) جامع العلوم والحكم (2/ 567) شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد (ص: 76) شرح الأربعين النووية - العباد (7/ 15) التحفة الربانية في (ص: 44)
(2) الترمذي (2396) وابن ماجه (4031)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (2110).
(3) النسائي (3/ 54، 55)، وأحمد (4/ 264)، وصححه الألباني في "صحيح سنن النسائي" (1237).

بِغَيْرِ حِسَابٍ} الزمر: 10. ، وقال: {وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ} البقرة: 155. (1)

والفرق بين الرضا والصبر: أنَّ الصَّبر: كفُّ النَّفس وحبسُها عن التسخط مع وجود الألم، وتمنِّي زوال ذلك، وكفُّ الجوارح عن العمل بمقتضى الجزع، والرضا: انشراح الصدر وسعته بالقضاء، وترك تمنِّي زوال ذلك المؤلم، وإنْ وجدَ الإحساسُ بالألم، لكن الرضا يخفِّفُه لما يباشر القلبَ من رَوح اليقين والمعرفة. (2)

قوله صلى الله عليه وسلم: **((واعلم أنَّ النَّصر مع الصَّبر))**

هذا موافق لقول الله {قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو اللهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} البقرة: 249. وقوله تعالى: {فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} الأنفال: 66. وقال عمرُ لأشياخ من بني عبس: بم قاتلتُمُ الناس؟ قالوا: بالصبر، لم نلق قوماً إلا صبرنا لهم كما صبروا لنا. فمن صبر على مجاهدة نفسه وهواه وشيطانه، حصل له النصر والظفر، وملَكَ نفسه، فصار عزيزاً ملكاً، ومن جَزِعَ ولم يَصبر على مجاهدة ذلك، غُلِب وقُهر وأُسر، وصار عبداً ذليلاً أسيراً في يدي شيطانه وهواه.

قوله صلى الله عليه وسلم: **((إنَّ النصر مع الصبر))**

يشمل النصرَ في الجهادين: جهادُ العدوِّ الظاهر، وجهادُ العدوِّ الباطن، فمن صبرَ فيهما، نُصِرَ وظفر بعدوِّه، ومن لم يصبر فيهما وجَزِعَ، قُهِرَ وصار أسيراً لعدوّه، أو قتيلاً له.

قوله صلى الله عليه وسلم: **((وإنَّ الفرج مع الكرب))**

تأمل هذه البلاغة النبوية وانظر لواقع الناس، فإنهم يطلبون دائماً الفرج، ويريدون التيسير والخير، ولكنهم يهربون من الآلام والمتاعب، أما النبي صلى الله عليه وسلم فقد قرنهما، فإذا كنت تريد النصر فهو مع الصبر، وإذا كنت تريد الفرج فهو مع الكرب، فلا يمكن أن تحصل على الفرج دون أن يأتيك الكرب، ومقتضى ذلك: أن الكرب إذا حصل فصبرت، فإن الفرج آت لا محالة. وهذا يشهد له قوله - عز وجل -: {وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ} الشورى: 28.

وكم قصَّ سبحانه من قصص تفريج كُرُباتِ أنبيائه عند تناهي الكَرْب كإنجاء نوح ومَنْ معه في الفلك، وإنجاء إبراهيم من النار، وفدائه لولده الذي أمر بذبحه، وإنجاء موسى وقومه من اليمِّ، وإغراق عدوِّهم، وقصة أيوب ويونس، وقصص محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم مع أعدائه، وإنجائه منهم، كقصته في الغار، ويوم بدر، ويوم أحد، ويوم الأحزاب، ويوم حنين، وغير ذلك.

وقوله : عز وجل: **((فإنَّ مَعَ العسر يسراً))**

هو منتزع من قوله تعالى: {سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً} (5)، وقوله تعالى: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً إِنَّ مَعَ الْعُسْرِيُسْراً} الشرح: 5-6. ومن لطائف أسرار اقتران الفرج بالكرب

(1) حلية الأولياء " 342/5

(2)جامع العلوم والحكم (2/ 567) شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد (ص: 76)شرح الأربعين النووية للعثيمين (ص: 201) تعطير الأنفاس (ص: 24) شرح الأربعين النووية - العباد (7/ 15) .

واليُسر بالعسر: أنَّ الكربَ إذا اشتدَّ وعَظُمَ وتناهي، وحصل للعبد الإياسُ من كَشفه من جهة المخلوقين، وتعلق قلبُه بالله وحده، وهذا هو حقيقةُ التوكُّل على الله، وهو من أعظم الأسباب التي تُطلَبُ بها الحوائجُ، فإنَّ الله يكفي من توكَّل عليه، كما قال تعالى: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} الطلاق: 3. (1)

(1)جامع العلوم والحكم (2/ 567) شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد (ص: 76)شرح الأربعين النووية للعثيمين (ص: 201) تعطير الأنفاس (ص: 24) شرح الأربعين النووية - العباد (7/ 15).

3ـ مواقف من حياة صديق الأمة (أبو بكر الصديق)

الحمد لله، والصَّلاة والسَّلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أمَّا بعد:

فإنَّنا على موعدٍ مع رجلٍ ما طلعت الشَّمس ولا غربت بعد النَّبيِّين والمرسلين على خيرٍ منه. .

من أولياته: أوَّل من أسلم من الرِّجال، أوَّل من جمع القرآن، أوَّل من سمَّى القرآن مصحفًا، أوَّل من سمِّي خليفةً، وأوَّل خليفةٍ فرض له رعيته العطاء، أوَّل من اتخذ بيت المال، أوَّل من لقب في الإسلام، فلقب (عتيق).

ووقع في خلافته من الأمور الكثيرة كتنفيذ جيش أسامة، وقتال أهل الرِّدّة ومانعي الزَّكاة، وقتال مسيلمة الكذاب، وجمع القرآن، وبداية الفتوحات في العراق والشَّام. [1] **إنَّه أبو بكر الصَّديقرضي الله عنه**

واليكم شيء من ذلك

سبب الموضوع:

1- أن معرفة الصحابة وحبهم من الدين الذي يثاب العبد عليه لأنهم أول حملة الشريعة

2- أن معرفة الصحابة فضائله من أسباب محبته، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "المرء مع من أحب"(2).

3- أنه ببيان حالهم بيان علم الصحابة ودينهم وفضائلهم وتقديمهم الصديق والفاروق على من بعدهم.

4- أنه إذا ظهر مبتدع يقدح فيهم بالباطل رفضنا قوله لما علمناه عنهم من الديانة والتقوى، وقد زكاهم العليم الخبير.

5- أنه قد يتوصل بالطعن فيهم إلى الطعن في الرسول ودين الإسلام، ويورث الشبهة والضعف عند كثير من المؤمنين، كما قال مالك وغيره من أهل العلم: هؤلاء قوم أرادوا الطعن في رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يمكنهم ذلك، فطعنوا في أصحابه؛ ليقول القائل: رجل سوء كان له أصحاب سوء، ولو كان رجلاً صالحًا لكان أصحابه صالحين (3).

6- أن أبا بكر هو أولهم وهو أفضلهم، فإذا ثبتت أفضليته واندفع الطعن عليه انسد باب الطعن في خليفته عمر.

7- أنه روي عن بعض السلف: أن حب أبي بكر وعمر ومعرفة فضلهما من السنة، عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: " حُبُّ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَمَعْرِفَةُ فَضْلِهِمَا مِنَ السُّنَّةِ. [4] وعَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، قَالَ: " كَانَ صَالِحُ السَّلَفِ يُعَلِّمُونَ أَوْلادَهُمْ حُبَّ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ^ كَمَا يُعَلِّمُونَ السُّورَةَ أَوِ السُّنَّةَ". [5]

اسمه: عبد الله بن عثمان بن عامر، قرشي تيمي الأب والأمّ، كان كريمًا شجاعًا ثابتًا ذا رأيٍ سديدٍ في المواقف العظام، سمحًا صبورًا، قويَّ العزيمة، فقيهًا، عالمًا بالأنساب والأخبار، شديد

(1) تاريخ الخلفاء ص73-74.
(2) أخرجه مسلم في كتاب البر (2640).
(3) انظر: الصواعق المرسلة لابن القيم ص1405.
(4) مصنف ابن أبي شيبة (32600)
(5) مسند الموطأ للجوهري (ص: 110).

التَّوكل على الله والثِّقة بوعده، ورعًا متباعدًا عنِ الشُّبهات، زاهدًا في الدُّنيا، راغبًا فيما عند الله، إلفًا مؤلفًا رضي الله عنه[1]

وقال ابن الجوزي: "واعلم أنَّ خلال أبي بكررضي الله عنه معلومةٌ من الورع والخوف والزُّهد والبكاء والتَّواضع، وأنَّه لما استُخلف أصبح غاديًا إلى السُّوق، وكان يحلب للحي أغنامهم قبل الخلافة، فلمَّا بويع قالت جاريةٌ من الحيِّ: الآن لا يحلب لنا. فقال: بلى لأحلبنَّها لكم، وإنِّي لأرجو ألا يغيرني ما دخلت فيه.

وجميع الصَّحابة -رضي الله تعالى عنهم- اعترفوا بفضله"[2]

وكان إسلام أبي بكر أعظم منفعةٍ للإسلام والمسلمين من إسلام غيره؛ لمكانته وجدّه في الدَّعوة، حيث أسلم بإسلامه عدد كثير من المشاهير مثل عبد الرَّحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وعثمان بن عفان، والزُّبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله. وقد كان يوم أسلم عنده أربعون ألف درهم أنفقها في سبيل الله.

وأعتق عددًا من العبيد المستضعفين الَّذين كانوا يعذبون في سبيل الله مثل بلالرضي الله عنه، وقد لازم رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة، وكان صاحبه في الغار وفي الهجرة ثمَّ في المدينة، وحضر مشاهده كلَّها؛ بدرًا، وأحدًا، والخندق، والفتح، وحنين، وتبوك. [3]

أبو بكر أسبق الصحابة إلى الخيرات

هو أول من أسلم

أول من آمن بالرسول باتفاق أهل الأرض أربعة: أول من آمن به من الرجال أبو بكر، ومن النساء خديجة، ومن الصبيان علي، ومن الموالي زيد بن حارثة.

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنهقَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذًا بِطَرَفِ ثَوْبِهِ حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ"(4) فَسَلَّمَ وَقَالَ: إِنِّي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الْخَطَّابِ شَيْءٌ، فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ ثُمَّ نَدِمْتُ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي فَأَبَى عَلَيَّ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ، فَقَالَ: "يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ" ثَلاَثًا، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ، فَأَتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ، فَسَأَلَ: أَثَمَّ أَبُو بَكْرٍ؟ فَقَالُوا: لاَ، فَأَتَى إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَسَلَّمَ، فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يَتَمَعَّرُ، (5) حَتَّى أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ، (6) فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ، مَرَّتَيْنِ، (7) فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقَ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي" مَرَّتَيْنِ، فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا. [8]

فهذا يبين فيه أنه لم يكذبه قط، وأنه صدقه حين كذبه الناس طرًّا، وهذا ظاهر في أنه

(1) ترتيب وتهذيب البداية والنِّهاية، لابن كثير ص: 17.
(2) (التَّبصرة 400/1).
(3) (تهذيب البداية ص: 17).
(4) غامر: خاصم أي دخل في غمرة الخصومة.
(5) أي تذهب نضارته من الغضب.
(6) أن يكون لعمر من الرسول ما يكره.
(7) لأنه هو الذي بدأ.
(8) صحيح البخاري (3661).

صدقه قبل أن يصدقه أحد من الناس الذين بلغهم الرسالة.

وأول من أوذي في الله

أول من أوذي في الله بعد الرسول صلى الله عليه وسلم أبو بكر -آذاه الكفار على إيمانه حتى خرج من مكة مهاجرًا إلى أرض الحبشة

عن عَائِشَةَ ، زَوْجَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَتْ: لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ قَطُّ، إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ، وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم طَرَفَيِ النَّهَارِ، بُكْرَةً وَعَشِيَّةً، فَلَمَّا ابْتُلِيَ المُسْلِمُونَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا نَحْوَ أَرْضِ الحَبَشَةِ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَرْكَ الغِمَادِ لَقِيَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ وَهُوَ سَيِّدُ القَارَةِ، فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَبَا بَكْرٍ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَخْرَجَنِي قَوْمِي، فَأُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ فِي الأَرْضِ وَأَعْبُدَ رَبِّي، قَالَ ابْنُ الدَّغِنَةِ: فَإِنَّ مِثْلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ لاَ يَخْرُجُ وَلاَ يُخْرَجُ، إِنَّكَ تَكْسِبُ المَعْدُومَ وَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ، فَأَنَا لَكَ جَارٌ ارْجِعْ وَاعْبُدْ رَبَّكَ بِبَلَدِكَ، فَرَجَعَ وَارْتَحَلَ مَعَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ، فَطَافَ ابْنُ الدَّغِنَةِ عَشِيَّةً فِي أَشْرَافِ قُرَيْشٍ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لاَ يَخْرُجُ مِثْلُهُ وَلاَ يُخْرَجُ، أَتُخْرِجُونَ رَجُلًا يَكْسِبُ المَعْدُومَ وَيَصِلُ الرَّحِمَ، وَيَحْمِلُ الكَلَّ وَيَقْرِي الضَّيْفَ، وَيُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ، فَلَمْ تُكَذِّبْ قُرَيْشٌ بِجِوَارِ ابْنِ الدَّغِنَةِ، وَقَالُوا: لِابْنِ الدَّغِنَةِ: مُرْ أَبَا بَكْرٍ فَلْيَعْبُدْ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، فَلْيُصَلِّ فِيهَا وَلْيَقْرَأْ مَا شَاءَ، وَلاَ يُؤْذِينَا بِذَلِكَ وَلاَ يَسْتَعْلِنْ بِهِ، فَإِنَّا نَخْشَى أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا، فَقَالَ ذَلِكَ ابْنُ الدَّغِنَةِ لِأَبِي بَكْرٍ، فَلَبِثَ أَبُو بَكْرٍ بِذَلِكَ يَعْبُدُ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، وَلاَ يَسْتَعْلِنُ بِصَلاَتِهِ وَلاَ يَقْرَأُ فِي غَيْرِ دَارِهِ، ثُمَّ بَدَا لِأَبِي بَكْرٍ، فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ، وَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ، وَيَقْرَأُ القُرْآنَ، فَيَنْقَذِفُ عَلَيْهِ نِسَاءُ المُشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤُهُمْ، وَهُمْ يَعْجَبُونَ مِنْهُ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا بَكَّاءً، لاَ يَمْلِكُ عَيْنَيْهِ إِذَا قَرَأَ القُرْآنَ، وَأَفْزَعَ ذَلِكَ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنَ المُشْرِكِينَ، فَأَرْسَلُوا إِلَى ابْنِ الدَّغِنَةِ فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا: إِنَّا كُنَّا أَجَرْنَا أَبَا بَكْرٍ بِجِوَارِكَ، عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، فَقَدْ جَاوَزَ ذَلِكَ، فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ، فَأَعْلَنَ بِالصَّلاَةِ وَالقِرَاءَةِ فِيهِ، وَإِنَّا قَدْ خَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا، فَانْهَهُ، فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَعَلَ، وَإِنْ أَبَى إِلَّا أَنْ يُعْلِنَ بِذَلِكَ، فَسَلْهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْكَ ذِمَّتَكَ، فَإِنَّا قَدْ كَرِهْنَا أَنْ نُخْفِرَكَ، وَلَسْنَا مُقِرِّينَ لِأَبِي بَكْرٍ الِاسْتِعْلاَنَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَتَى ابْنُ الدَّغِنَةِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ: قَدْ عَلِمْتَ الَّذِي عَاقَدْتُ لَكَ عَلَيْهِ، فَإِمَّا أَنْ تَقْتَصِرَ عَلَى ذَلِكَ، وَإِمَّا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيَّ ذِمَّتِي، فَإِنِّي لاَ أُحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ العَرَبُ أَنِّي أُخْفِرْتُ فِي رَجُلٍ عَقَدْتُ لَهُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَإِنِّي أَرُدُّ إِلَيْكَ جِوَارَكَ، وَأَرْضَى بِجِوَارِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. . . . الحديث (1).

وأول من دافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

لما أراد المشركون أن يضربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يقتلوه بمكة دافع عنه الصديق،

عن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ: أَخْبِرْنِي بِأَشَدِّ شَيْءٍ صَنَعَهُ المُشْرِكُونَ بِالنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: "بَيْنَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي فِي حِجْرِ الكَعْبَةِ، إِذْ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ، فَوَضَعَ ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ، فَخَنَقَهُ خَنْقًا شَدِيدًا" فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى أَخَذَ بِمَنْكِبِهِ، وَدَفَعَهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: {أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ

(1) البخاري (3905).

يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ} [غافر: 28] الآيَة (1)

وأول من دعا إلى الله

أبو بكر أول من دعا إلى الله، وكان له قدر عند قريش لما فيه من المحاسن، فجعل يدعو الناس إلى الإسلام من وثق به، فأسلم على يديه أكابر أهل الشورى: عثمان، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة. وكان يخرج مع النبي صلى الله عليه وسلم يدعو معه الكفار إلى الإسلام في المواسم ويعاونه معاونة عظيمة في الدعوة. كان يجاهد الكفار مع الرسول صلى الله عليه وسلم قبل الأمر بالقتال بالحجة والبيان والدعوة، كما قال تعالى: «فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا» وهذه السورة -سورة الفرقان- مكية نزلت قبل أن يهاجر النبي صلى الله عليه وسلم وقبل أن يؤمر بالقتال. فكان أبو بكر أسبق الناس وأكملهم في أنواع الجهاد بالنفس والمال، فإنه جاهد قبل الأمر بالقتال وبعد الأمر بالقتال، منتصبًا للدعوة إلى الإيمان بمكة والمدينة يدعو المشركين ويناظرهم، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: "إن أمن الناس علي في صحبته وذات يده أبو بكر" فالصحبة بالنفس، وذات اليد هو المال. فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه أمن الناس عليه في النفس، والمال (2).

وأول من بذل ماله لنصرة الإسلام، وكثرت نفقته

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " مَا نَفَعَنِي مَالٌ قَطُّ، مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ " فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ: هَلْ أَنَا وَمَالِي إِلَّا لَكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ (3)

وهذا صريح في اختصاصه بهذه الفضيلة لم يشركه فيها أحد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وإنفاق أبي بكر لم يكن نفقة على النبي صلى الله عليه وسلم في طعامه وكسوته فإن الله أغنى نبيه عن مال الخلق أجمعين؛ بل كان معونة له على إقامة الإيمان. وكان إنفاقه في أول الإسلام لتخليص من آمن والكفار يؤذونه أو يريدون قتله مثل اشترائه سبعة كانوا يعذبون في الله، منهم بلال، حتى كَانَ عُمَرُ يَقُولُ: "أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا، وَأَعْتَقَ سَيِّدَنَا يَعْنِي بِلاَلًا" (4)، وَإِنْفَاقُهُ عَلَى الْمُحْتَاجِينَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَفِي نَصْرِ الْإِسْلَامِ، حَيْثُ كَانَ أَهْلُ الْأَرْضِ قَاطِبَةً أَعْدَاءَ الْإِسْلَامِ. وَتِلْكَ النَّفَقَةُ مَا بَقِيَ يُمْكِنُ مِثْلُهَا. ، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته -لما كان بين عبد الرحمن بن عوف وبين خالد بن الوليد كلام-: " لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ "(5). فإن إطعام الجائع من جنس الصدقة المطلقة التي يمكن كل واحد فعلها إلى يوم القيامة.

سبقه عمر: عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِرضي الله عنه قال: " أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمًا أَنْ نَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَالًا عِنْدِي، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِصلى الله عليه وسلم: "مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟ "، قُلْتُ: مِثْلَهُ، قَالَ: وَأَتَى

(1) البخاري (3658).
(2) منهاج السنة جـ4/8، 166.
(3) أخرجه أحمد (7446)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (5808)
(4)صحيح البخاري (3754).
(5)أخرجه البخاري (3673)، ومسلم (2540).

أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنهبِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟ " قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ: لَا أُسَابِقُكَ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا. (1)

وكان الصديق ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابة بعيدة، وكان ممن يتكلم في الإفك، قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنهوَاللَّهِ لاَ أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ مَا قَالَ لِعَائِشَةَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلاَ يَأْتَلِ أُولُو الفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا} إِلَى قَوْلِهِ {غَفُورٌ رَحِيمٌ} [البقرة: 173] فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ الَّذِي كَانَ يُجْرِي عَلَيْهِ (2).

كان سبَّاقًا للخيرات

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَرضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍرضي الله عنه: أَنَا، قَالَ: فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جِنَازَةً؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا، قَالَ: فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا، قَالَ: فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ، إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ. (3)

يدعى من أبواب الجنة كلها

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: " مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلاَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ "، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنهبِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ كُلِّهَا، قَالَ: "نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ" (4)

صاحبه في سفر الهجرة

دلالة آية «إلا تنصُرُوهُ» على أفضلية أبي بكر من سبعة أوجه

قال ابن كثير رحمه الله: لما هم المشركون بقتله أو حبسه أو نفيه خرج منهم هاربًا صحبه صديقه وصديقه وصاحبه أبي بكر بن أبي قحافة، فلجآ إلى غار ثور ثلاثة أيام ليرجع الطلب الذين خرجوا في آثارهم ثم يسيروا نحو المدينة، فجعل أبو بكر رضي الله عنهيجزع أن يطلع عليهم فيخلص إلى الرسول منهم أذى، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يسكنه ويثبته. (5)

ففي الآية الكريمة من فضائل الصديق:

1ـ أن الكفار أخرجوه:

الكفار أخرجوا الرسول «ثَانِيَ اثْنَيْنِ» فلزم أن يكونوا أخرجوهما، وهذا هو الواقع، فإن الكفار أخرجوا المهاجرين كلهم كما قال تعالى: «لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ

(1) أخرجه أبو داود (1678)، والترمذي (3675)، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، والحاكم (1/ 414)، وقال: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.
(2) البخاري(2661) ومسلم (2770).
(3) صحيح مسلم (1028).
(4) البخاري (1897)، ومسلم (1027)
(5) تفسير ابن كثير 2 /358.

دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا»(1)، وقال تعالى: «أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ»(2) وذلك أنهم منعوهم أن يقيموا بمكة مع الإيمان، وهم لا يمكنهم ترك الإيمان، فقد أخرجوهم إذ كانوا مؤمنين (3).

2ـ **أنه صاحبه الوحيد**:

الذي كان معه حين نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا هو أبو بكر، وكان ثاني اثنين الله ثالثهما. قوله: «ثَانِيَ اثْنَيْنِ» يدل على قلة العدد، فإن الواحد أقل ما يوجد، فإذا لم يصحبه إلا واحد دل على أنه في غاية القلة.

وأيضًا ففي المواضع التي لا يكون مع النبي صلى الله عليه وسلم من أكابر الصحابة إلا واحد يكون هو ذلك الواحد: مثل سفره في الهجرة ومقامه يوم بدر في العريش لم يكن معه فيه إلا أبو بكر، ومثل خروجه إلى قبائل العرب يدعوهم إلى الإسلام كان يكون معه من أكابر الصحابة أبو بكر. وهذا اختصاص في الصحبة لم يكن لغيره باتفاق أهل المعرفة بأحوال النبي صلى الله عليه وسلم(4).

3ـ **صاحبه في الغار**:

الفضيلة في الغار ظاهرة بنص القرآن،

فعن أَنَسِ بْنُ مَالِكٍ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ، حَدَّثَهُ قَالَ: نَظَرْتُ إِلَى أَقْدَامِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى رُءُوسِنَا وَنَحْنُ فِي الْغَارِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ، فَقَالَ: "يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا "[5]

وهذا الحديث مع كونه مما اتفق أهل العلم على صحته وتلقيه بالقبول فلم يختلف في ذلك اثنان منهم فهو مما دل القرآن على معناه (6).

4ـ **أنه صاحبه المطلق**:

قوله: «إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ» لا يختص بمصاحبته في الغار، بل هو صاحبه المطلق الذي كمل في الصحبة كمالاً لم يشركه فيه غيره - فصار مختصًا بالأكملية من الصحبة، وهذا مما لا نزاع فيه بين أهل العلم بأحوال النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، كما في الحديث الذي رواه البخاري، عن أبي الدرداء، عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه: "هل أنتم تاركو لي صاحبي؟ " فقد تبين أن النبي صلى الله عليه وسلم خصه دون غيره مع أنه جعل غيره من أصحابه أيضًا؛ لكنه خصه بكمال الصحبة، ولهذا قال من قال من العلماء: إن فضائل الصديق خصائص لم يشركه فيها غيره (7).

5ـ **أنه المشفق عليه**:

---

(1) سورة الحشر: 8.
(2) سورة الحج: 39-40.
(3) منهاج السنة لابن تيمية - 4/ 266، 267.
(4) منهاج السنة لابن تيمية -4/ 252، 255.
(5) أخرجه البخاري (3653)، ومسلم (2381).
(6)منهاج السنة لابن تيمية -4/240-241.
(7)منهاج السنة لابن تيمية 4/ 252، 245.

قوله: «لا تَحْزَنْ» يدل على أن صاحبه كان مشفقًا عليه محبًا له ناصرًا له حيث حزن، وإنما يحزن الإنسان حال الخوف على من يحبه. وكان حزنه على النبيصلى الله عليه وسلم لئلا يقتل ويذهب الإسلام. (1)

6ـ المشارك له في معية الاختصاص:

قوله: «إِنَّ اللهَ مَعَنَا» صريح في مشاركة الصديق للنبي في هذه المعية التي اختص بها الصديق لم يشركه فيها أحد من الخلق. . . وهي تدل على أنه معهم بالنصر والتأييد والإعانة على عدوهم فيكون النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر أن الله ينصرني وينصرك يا أبا بكر، ويعيننا عليهم، نصر إكرام ومحبة، كما قال تعالى: «إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا آمنوا في الحياة الدنيا»(2). وهذا غاية المدح لأبي بكر، إذ دل على أنه ممن شهد له الرسول بالإيمان المقتضى نصر الله له مع رسوله في مثل هذه الحال التي يخذل فيها عامة الخلق إلا من نصره الله؛ ولهذا قال سفيان بن عيينة: إن الله عاتب الخلق جميعهم في نبيه إلا أبا بكر(3) وقال من أنكر صحبته فهو كافر؛ لأنه كذب القرآن. وقالت طائفة كأبي القاسم السهيلي وغيره: هذه المعية الخاصة لم تثبت لغير أبي بكر، وكذلك قوله: "ما ظنك باثنين الله ثالثهما" بل ظهر اختصاصهما في اللفظ كما ظهر في المعنى؛ فكان يقال للنبي: محمد رسول الله، فلما تولى أبو بكر بعده صاروا يقولون: خليفة رسول الله. فيضيفون الخليفة إلى رسول الله المضاف إلى الله، والمضاف إلى المضاف إلى الله مضاف إلى الله، وتحقيقًا لقوله: «إِنَّ اللهَ مَعَنَا» "ما ظنك باثنين الله ثالثهما" فلما تولى عمر بعده صاروا يقولون: أمير المؤمنين، فانقطع الاختصاص الذي امتاز به أبو بكر على سائر الصحابة (4).

7ـ أنه صاحبه في حال إنزال السكينة والنصر:

قال الله تعالى: «فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا»(5) فإن من كان صاحبه في حال الخوف الشديد فلأن يكون صاحبه في حضور النصر والتأييد أولى وأحرى، فلم يحتج أن يذكر صحبته له في هذه الحال لدلالة الكلام والحال عليها، وإذا علم أنه صاحبه في هذه الحال علم إنما حصل للرسول من إنزال السكينة والتأييد بالجنود التي لم يرها الناس لصاحبه المذكور فيها أعظم مما لسائر الناس، وهذا من بلاغة القرآن وحسن بيانه(6).

من مواقفه الرائعة: موقفه يوم أن مات النبي صلى الله عليه وسلم

في يوم عسير من أيام المسلمين، كادت فيه قاعدة الإسلام أن تموج، لكن رجل المواقف الصديق رضي الله عنهلها، ذاك يوم أن توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهاج الناس

(1) منهاج السنة لابن تيمية ـ4/ 262، 263.
(2) سورة غافر: 51.
(3) أخرجه ابن عساكر.
(4) منهاج السنة لابن تيمية 4/ 242، 243.
(5) سورة التوبة: 40.
(6) قال ابن القيم رحمه الله: وكان شيخنا قدس الله روحه يقول: الضمير عائد على النبي ﷺ وإلى صاحبه تبعًا له فهذا الذي أنزلت عليه السكينة وهو الذي أيده الله بالجنود وسرى ذلك إلى صاحبه (بدائع 112/4).

وماجوا وتضاربت الأقوال، وأغلق باب النبي صلى الله عليه وسلمفلا يفتح حتى يأتي أبو بكر، ويأتي والناس ينتظرون، ويتيقن الخبر، ثم يخرج والعبرة تخالج حلقه، والدمعة بعدما رقأت من عينه، لكن يخرج ليقول كلمات الحق وإن كانت مُرّة، وإن كانت في أحب الناس إليه، لكنه دين الله

عَنْ عَائِشَةَ ، زَوْجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، مَاتَ وَأَبُو بَكْرٍ بِالسُّنْحِ، - قَالَ: إِسْمَاعِيلُ يَعْنِي بِالعَالِيَةِ - فَقَامَ عُمَرُ يَقُولُ: وَاللَّهِ مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَتْ: وَقَالَ عُمَرُ: وَاللَّهِ مَا كَانَ يَقَعُ فِي نَفْسِي إِلَّا ذَاكَ، وَلَيَبْعَثَنَّهُ اللَّهُ، فَلَيَقْطَعَنَّ أَيْدِيَ رِجَالٍ وَأَرْجُلَهُمْ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ " فَكَشَفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَبَّلَهُ، قَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يُذِيقُكَ اللَّهُ المَوْتَتَيْنِ أَبَدًا، ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: أَيُّهَا الحَالِفُ عَلَى رِسْلِكَ، فَلَمَّا تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ جَلَسَ عُمَرُ، فَحَمِدَ اللَّهَ أَبُو بَكْرٍ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: أَلاَ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ، وَقَالَ: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ} [الزمر: 30]، وَقَالَ: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ} [آل عمران: 144]، قَالَ: فَنَشَجَ النَّاسُ يَبْكُونَ، قَالَ: وَاجْتَمَعَتِ الأَنْصَارُ إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، فَقَالُوا: مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ، فَذَهَبَ إِلَيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ، فَذَهَبَ عُمَرُ يَتَكَلَّمُ فَأَسْكَتَهُ أَبُو بَكْرٍ، وَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ: وَاللَّهِ مَا أَرَدْتُ بِذَلِكَ إِلَّا أَنِّي قَدْ هَيَّأْتُ كَلاَمًا قَدْ أَعْجَبَنِي، خَشِيتُ أَنْ لاَ يَبْلُغَهُ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَتَكَلَّمَ أَبْلَغَ النَّاسِ، فَقَالَ فِي كَلاَمِهِ: نَحْنُ الأُمَرَاءُ وَأَنْتُمُ الوُزَرَاءُ، فَقَالَ حُبَابُ بْنُ المُنْذِرِ: لاَ وَاللَّهِ لاَ نَفْعَلُ، مِنَّا أَمِيرٌ، وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: لاَ، وَلَكِنَّا الأُمَرَاءُ، وَأَنْتُمُ الوُزَرَاءُ، هُمْ أَوْسَطُ العَرَبِ دَارًا، وَأَعْرَبُهُمْ أَحْسَابًا، فَبَايِعُوا عُمَرَ، أَوْ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الجَرَّاحِ، فَقَالَ عُمَرُ: بَلْ نُبَايِعُكَ أَنْتَ، فَأَنْتَ سَيِّدُنَا، وَخَيْرُنَا، وَأَحَبُّنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِصلى الله عليه وسلم، فَأَخَذَ عُمَرُ بِيَدِهِ فَبَايَعَهُ، وَبَايَعَهُ النَّاسُ[1]

ماذا قال للناس لما تولى الخلافة؟

عن أنس بن مالك، قال: لما بويع أبو بكر في السقيفة، وكان الغد جلس أبو بكر على المنبر إلى أن قال: فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنِّي قَدْ وُلِّيتُ عَلَيْكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ، فَإِنْ أَحْسَنْتُ فَأَعِينُونِي، وَإِنْ أَسَأْتُ فَقَوِّمُونِي الصِّدْقُ أَمَانَةٌ، وَالْكَذِبُ خِيَانَةٌ، وَالضَّعِيفُ فِيكُمْ قَوِيٌّ عِنْدِي حَتَّى أُرِيحَ عَلَيْهِ حَقَّهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَالْقَوِيُّ مِنْكُمُ الضَّعِيفُ عِنْدِي حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لا يَدَعُ أَحَدٌ مِنْكُمُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ لا يَدَعُهُ قَوْمٌ إِلا ضَرَبَهُمُ اللَّهُ بِالذُّلِّ، وَلا تَشِيعُ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ إِلا عَمَّهُمُ اللَّهُ بِالْبَلاءِ أَطِيعُونِي مَا أَطَعْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِذَا عَصَيْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَلا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ قُومُوا إِلَى صَلاتِكُمْ رَحِمَكُمُ اللَّهُ. (2)

موقفه من قتال المرتدين

عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهقَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنهوَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ العَرَبِ، فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنهكَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ؟

(1) صحيح البخاري (3667).
(2) البداية والنهاية لابن كثير (جـ5/ 248).

وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: " أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ " فَقَالَ: وَاللَّهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ المَالِ، وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عَنَاقًا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهَا " قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه"فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ قَدْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنهفَعَرَفْتُ أَنَّهُ الحَقُّ"[1]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهقَالَ: وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَوْلَا أَنَّ أَبَا بَكْرٍ اسْتُخْلِفَ مَا عُبِدَ اللَّهُ، ثمَّ قَالَ الثَّانية، ثمَّ قَالَ الثَّالثة، فَقِيلَ لَهُ: مَهْ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلموجَّه أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ فِي سَبْعِمِائَةٍ إِلَى الشَّام، فلمَّا نَزَلَ بِذِي خَشَبٍ قُبض رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وارتدَّت الْعَرَبُ حَوْلَ الْمَدِينَةِ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ فَقَالُوا: يَا أَبَا بَكْرٍ ردَّ هَؤُلَاءِ، توجَّه هَؤُلَاءِ إِلَى الرُّومِ وَقَدِ ارتدَّت الْعَرَبُ حَوْلَ الْمَدِينَةِ؟ فَقَالَ: وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ لَوْ جَرَّتِ الْكِلَابُ بِأَرْجُلِ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلممَا رددت جيشاً وجَّهه رَسُولُ اللَّهِ، وَلَا حللت لواء عقده رسول الله.

فوجَّه أُسَامَةَ، فَجَعَلَ لَا يَمُرُّ بِقَبِيلٍ يُرِيدُونَ الِارْتِدَادَ إِلَّا قَالُوا: لَوْلَا أَنَّ لِهَؤُلَاءِ قُوَّةً مَا خَرَجَ مِثْلُ هَؤُلَاءِ مِنْ عِنْدِهِمْ، وَلَكِنْ نَدَعُهُمْ حَتَّى يَلْقَوُا الرُّوم، فَلَقُوا الرُّوم فَهَزَمُوهُمْ وَقَتَلُوهُمْ، وَرَجَعُوا سَالِمِينَ، فَثَبَتُوا عَلَى الْإِسْلَامِ.[2]

قال عليّ بن المَدينيّ: إن الله أعَزَّ هذا الدين بأبي بكر الصِّدّيق يوم الرِّدَّةِ، وبأحمد بن حنبل يوم المِحْنَة.[3]

لهذا وغيره كان أرجح الأمة إيمانًا

اليقين والإيمان الذي في قلبه لا يساويه فيه أحد

قال أبو بكر بن عياش: ما سبقهم أبو بكر بكثرة صلاة ولا صيام ولكن بشيء وقر في قلبه.

رضي الله عن أبي بكر وأرضاه، اللهمَّ إنَّا نشهدك على حبِّه، وحبِّ جميع الخلفاء الرَّاشدين وسائر الصَّحابة أجمعين، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

(1) البخاري (1400)، ومسلم (32)
(2) البداية والنهاية (6/ 336)
(3) تاريخ الإسلام (18/ 71).

4ـ الجُمُعةُ آدابٌ وأحكامٌ

عناصر الخطبة:

اختصاص أمة الإسلام بهذا اليوم. فضائل يوم الجمعة.

آداب وسنن يوم الجمعة. وعيد من ترك الجمعة بغير عذرٍ.

مقدمة: فقد ميَّزَ اللهُ عز وجل أُمَّتَنا بميزاتٍ، وخصها بخصائص لم تكن للأمم قبلها، فشرع لها مواسم للاجتهاد في الطاعات، ومناسبات للإقبال على العبادات، تتكرر وتدور، لتبدد الفتور، وتجدد النشاط، وتوقظ الغافلين، يقبل المقبلون فيها على ربهم، فيزدادون حباً وقرباً، مواسم تتجدد لينفك العبد من الانهماك في أشغاله، ويتحلل فيها من قيود مهنته وأعماله. إن من هذه الأيام ومن مواسم النفحات يوماً جلَّ بين الأيام قدره، وعلا في الإسلام ذكره، إنه عنوان الملة، وعيد أهل الإسلام، هدى الله له أمة الإسلام، وأضل عنه الأمم الأخرى، فحقٌ على الأمة أن تعرف قدره، وتحفظ منزلته، إنه يوم بدء الخليقة، ويوم منتهى الدنيا، إنه يوم الجمعة، عيد الإسلام، يشرق على المسلمين ليؤلف بينهم بالمودة، ويربطهم برباط الجماعة، ويظهر فيهم الوحدة والعزة. (1)

اختصاص الأمة بيوم الجمعة:

لقد أمر الله تعالى اليهود بتعظيم يوم الجمعة فضلوا عنه واختاروا السبت، فأمر الله به النصارى فضلوا عنه واختاروا الأحد، وذلك لما ادخره اللهُ تعالى لهذه الأمة من الفضل والهداية. فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "نَحْنُ الْآخِرُونَ، وَنَحْنُ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، بَيْدَ أَنَّ كُلَّ أُمَّةٍ أُوتِيَت الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ، فَاخْتَلَفُوا، فَهَدَانَا اللهُ لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ، فَهَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ، هَدَانَا اللهُ لَهُ - قَالَ: يَوْمُ الْجُمُعَةِ - فَالْيَوْمَ لَنَا، وَغَدًا لِلْيَهُودِ، وَبَعْدَ غَدٍ لِلنَّصَارَى ". (2)

وعَنْ حُذَيْفَةَ بن اليمان ^، قَال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "أَضَلَّ اللهُ عَنِ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا، فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ، وَكَانَ لِلنَّصَارَى يَوْمُ الْأَحَدِ، فَجَاءَ اللهُ بِنَا فَهَدَانَا اللهُ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ،

فَجَعَلَ الْجُمُعَةَ، وَالسَّبْتَ، وَالْأَحَدَ، وَكَذَلِكَ هُمْ تَبَعٌ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَحْنُ الْآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا،

وَالْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الْمَقْضِيُّ لَهُمْ قَبْلَ الْخَلَائِقِ"(3)

* لذلك فإن اليهود والنصارى يحسدوننا على أن هدانا ليوم الجمعة الذي أضلهم عنه.

فعن عَائِشَةَ ، أَنَّ النَّبِيَّصلى الله عليه وسلم قَالَ لها: " تَدْرِينَ عَلَى مَا حَسَدُونَا ". قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: "فَإِنَّهُمْ حَسَدُونَا عَلَى الْقِبْلَةِ التي هُدِينَا لَهَا وَضَلُّوا عَنْهَا، وَعَلَى الْجُمُعَةِ الَّتِي هُدِينَا لَهَا وَضَلُّوا عَنْهَا، وَعَلَى قَوْلِنَا خَلْفَ الإِمَامِ آمِينَ ". (4)

خصائص وميزات يوم الجمعة:

---

(1) دروس للشيخ صالح بن حميد (56/ 2) بتصرف

(2) رواه البخاري (3486) ومسلم (855)

(3) رواه مسلم (856)

(4) رواه أحمد (6/ 134) والبيهقي(2/ 56) وصححه الألباني في الصحيحة (2/ 306)

قال ابن القيم: وَكَانَ مِنْ هَدْيِهِ صلى الله عليه وسلم تَعْظِيمُ هَذَا الْيَوْمِ وَتَشْرِيفُهُ، . . . وَلَهُ عَلَى سَائِرِ الْأَيَّامِ مَزِيَّةٌ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْعِبَادَاتِ وَاجِبَةٍ وَمُسْتَحَبَّةٍ، فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ لِأَهْلِ كُلِّ مِلَّةٍ يَوْمًا يَتَفَرَّغُونَ فِيهِ لِلْعِبَادَةِ وَيَتَخَلَّوْنَ فِيهِ عَنْ أَشْغَالِ الدُّنْيَا، فَيَوْمُ الْجُمُعَةِ يَوْمُ عِبَادَةٍ، وَهُوَ فِي الْأَيَّامِ كَشَهْرِ رَمَضَانَ فِي الشُّهُورِ، وَسَاعَةُ الْإِجَابَةِ فِيهِ كَلَيْلَةِ الْقَدْرِ فِي رَمَضَانَ. وَلِهَذَا مَنْ صَحَّ لَهُ يَوْمُ جُمُعَتِهِ وَسَلِمَ سَلِمَتْ لَهُ سَائِرُ جُمُعَتِهِ، وَمَنْ صَحَّ لَهُ رَمَضَانُ وَسَلِمَ سَلِمَتْ لَهُ سَائِرُ سَنَتِهِ، وَمَنْ صَحَّتْ لَهُ حَجَّتُهُ وَسَلِمَتْ لَهُ، صَحَّ لَهُ سَائِرُ عُمْرِهِ، فَيَوْمُ الْجُمُعَةِ مِيزَانُ الْأُسْبُوعِ، وَرَمَضَانُ مِيزَانُ الْعَامِ، وَالْحَجُّ مِيزَانُ الْعُمْرِ. [1]

*** المزية الأولى أنه يومُ عيدٍ للمسلمين:**

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: عُرِضَتِ الْجُمُعَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، جَاءَ جِبْرِيلُ فِي كَفِّهِ كَالْمِرْآةِ الْبَيْضَاءِ فِي وَسَطِهَا كَالنُّكْتَةِ السَّوْدَاءِ، فَقَالَ: "مَا هَذِهِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذِهِ الْجُمُعَةُ يَعْرِضُهَا عَلَيْكَ رَبُّكَ لِتَكُونَ لَكَ عِيدًا وَلِقَوْمِكَ مِنْ بَعْدِكَ. "[2]

وعَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ إِلَى عُمَرَ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَءُونَهَا، لَوْ عَلَيْنَا نَزَلَتْ، مَعْشَرَ الْيَهُودِ، لَاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا، قَالَ: وَأَيُّ آيَةٍ؟ قَالَ: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ، وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي، وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: 3]، فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي لَأَعْلَمُ الْيَوْمَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ، وَالْمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ، "نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِعَرَفَاتٍ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ"[3]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ^، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ هَذَا يَوْمُ عِيدٍ، جَعَلَهُ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ، فَمَنْ جَاءَ إِلَى الْجُمُعَةِ فَلْيَغْتَسِلْ، وَإِنْ كَانَ طِيبٌ فَلْيَمَسَّ مِنْهُ، وَعَلَيْكُمْ بِالسِّوَاكِ"[4]

ولما كان يوم الجمعة يوم عيد فقد نهينا عن إفراده بالصوم، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "لَا يَصُمْ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، إِلَّا أَنْ يَصُومَ قَبْلَهُ، أَوْ يَصُومَ بَعْدَهُ"[5]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: "لَا تَخْتَصُّوا لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ بِقِيَامٍ مِنْ بَيْنِ اللَّيَالِي، وَلَا تَخُصُّوا يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِصِيَامٍ مِنْ بَيْنِ الْأَيَّامِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي صَوْمٍ يَصُومُهُ أَحَدُكُمْ"[6]

ـ * المزية الثانية أنه خير يوم طلعت عليه الشمس:

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: "خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ

---

(1) زاد المعاد (1/ 386)
(2) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (2/ 314) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (1/ 169)
(3) رواه البخاري (7268) ومسلم (3017)
(4) رواه ابن ماجة (1098) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (1/ 172)
(5) رواه مسلم (1144)
(6) رواه مسلم (1144)

آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ"[1]وفي رواية عند أحمد" مَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَلَا غَرَبَتْ عَلَى يَوْمٍ خَيْرٍ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ"[2]

وعَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍرضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، "[3]

وعَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ اخْتَارَ الشُّهُورَ، وَاخْتَارَ شَهْرَ رَمَضَانَ، وَاخْتَارَ الْأَيَّامَ،
وَاخْتَارَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَاخْتَارَ اللَّيَالِيَ، وَاخْتَارَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، وَاخْتَارَ السَّاعَاتِ، وَاخْتَارَ سَاعَةَ الصَّلَاةِ [4]

ـ المزيَّة الثالثة: أنَّ يوم الجمعة يوم حافلٌ بالأحداث الجسام والوقائع العظام:

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ: خَرَجْتُ إِلَى الطُّورِ، فَلَقِيتُ كَعْبَ الْأَحْبَارِ، فَجَلَسْتُ مَعَهُ، فَحَدَّثَنِي عَنِ التَّوْرَاةِ، وَحَدَّثْتُهُ عَنِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَكَانَ فِيمَا حَدَّثْتُهُ أَنْ قُلْتُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: " خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُهْبِطَ، وَفِيهِ تِيبَ عَلَيْهِ، وَفِيهِ مَاتَ، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ، وَمَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا وَهِيَ مُسِيخَةٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ حِينِ تُصْبِحُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، شَفَقًا مِنَ السَّاعَةِ، إِلَّا الْجِنَّ وَالْإِنْسَ، وَفِيهَا سَاعَةٌ لَا يُصَادِفُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ يُصَلِّي، يَسْأَلُ اللهَ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ "[5]

ـ * المزية الرابعة: أنه الشاهد الذي أقسم الله به في كتابه:

حيث قال سبحانه: {وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ} [البروج: 3] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أنه قَالَ فِي هَذِهِ الآيَةِ:
{وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ}، قَالَ: الشَّاهِدُ: يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَالْمَشْهُودُ: يَوْمَ عَرَفَةَ، وَالْمَوْعُودُ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ. [6]

ـ * المزية الخامسة: أنه يَوْمُ تَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَرضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ: "الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ "[7]

ـ * المزية السادسة: فيه ساعة إجابة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهقَالَ: قَالَ أَبُو القَاسِمِ صلى الله عليه وسلم: "فِي يَوْمِ الجُمُعَةِ سَاعَةٌ، لاَ يُوَافِقُهَا مُسْلِمٌ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ إياه" وَقَالَ

(1) رواه مسلم (854)
(2) مسند أحمد (2/ 519)
(3) رواه أحمد(4/ 8) وأبو داود (1047) وصححه الألباني في صحيح الجامع (1/ 440)
(4) زاد المعاد (1/ 401)
(5) رواه أحمد (2/ 486) وأبو داود (1046) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (4/ 212) قوله: "مُسيخة" قال ابن الأثير في "النهاية" 433/2، أي: مُصغية مستمعة: وُيروى بالصاد، وهو الأصل.
(6) مسند أحمد (2/ 298)
(7) رواه مسلم (233)

بِيَدِهِ: يُقَلِّلُهَا. [1] وَقَدِ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ عَلَى أَحَدَ عَشَرَ قَوْلًا، أرجاها كما قال ابن القيم قولان: الْأَوَّلُ: أَنَّهَا مِنْ جُلُوسِ الْإِمَامِ إِلَى انْقِضَاءِ الصَّلَاةِ. وَالْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّهَا بَعْدَ الْعَصْرِ، وَهَذَا أَرْجَحُ الْقَوْلَيْنِ وَهُوَ قَوْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَالْإِمَامِ أَحْمَدَ وَخَلْقٍ. [2]

وَحُجَّةُ هَذَا الْقَوْلِ: حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: " إِنَّ فِي الْجُمُعَةِ سَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا خَيْرًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَهِيَ بَعْدَ الْعَصْرِ "[3]

ويشهد له حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ^، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: "يَوْمُ الْجُمُعَةِ ثِنْتَا عَشْرَةَ - يُرِيدُ - سَاعَةً، لَا يُوجَدُ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ شَيْئًا، إِلَّا أَتَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَالْتَمِسُوهَا آخِرَ سَاعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ"[4]

* ومن الاعتقادات الباطلة، أن في يوم الجمعة ساعة نحس؟! كما يزعم بعض الجهال، والصواب خلاف ذلك كما بيَّنا.

- * المزية السابعة: أن أفضل الصلوات صلاة فجر يوم الجمعة:

عن عبد الله بْنِ عُمَرَ^، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: " إِنَّ أَفْضَلَ الصَّلَوَاتِ عِنْدَ اللهِ صَلَاةُ الصُّبْحِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي جَمَاعَةٍ "[5]

- * المزية الثامنة: من مات يومه أو ليلته من المسلمين وقي من فتنة القبر:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو^ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَوْ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ إِلَّا وَقَاهُ اللَّهُ فِتْنَةَ الْقَبْرِ"[6]

آداب وسنن يوم الجمعة:

1- استحباب قراءة [سورة السجدة]، و [سورة الإنسان] في فجره.

قال ابن القيم: وَكَانَ صلى الله عليه وسلم يَقْرَأُ فِي فَجْرِهِ بِسُورَتَيِ (الم تَنْزِيلُ) وَ (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ). وَيَظُنُّ كَثِيرٌ مِمَّنْ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ أَنَّ الْمُرَادَ تَخْصِيصُ هَذِهِ الصَّلَاةِ بِسَجْدَةٍ زَائِدَةٍ، وَيُسَمُّونَهَا سَجْدَةَ الْجُمُعَةِ، وَإِذَا لَمْ يَقْرَأْ أَحَدُهُمْ هَذِهِ السُّورَةَ اسْتَحَبَّ قِرَاءَةَ سُورَةٍ أُخْرَى فِيهَا سَجْدَةٌ، وَلِهَذَا كَرِهَ مَنْ كَرِهَ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْمُدَاوَمَةَ عَلَى قِرَاءَةِ هَذِهِ السُّورَةِ فِي فَجْرِ الْجُمُعَةِ، دَفْعًا لِتَوَهُّمِ الْجَاهِلِينَ، وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ يَقُولُ: إِنَّمَا كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَقْرَأُ هَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ فِي فَجْرِ الْجُمُعَةِ؛ لِأَنَّهُمَا تَضَمَّنَتَا مَا كَانَ وَيَكُونُ فِي يَوْمِهَا، فَإِنَّهُمَا اشْتَمَلَتَا عَلَى خَلْقِ آدَمَ، وَعَلَى ذِكْرِ الْمَعَادِ وَحَشْرِ الْعِبَادِ، وَذَلِكَ يَكُونُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَكَانَ فِي قِرَاءَتِهِمَا فِي هَذَا الْيَوْمِ تَذْكِيرٌ لِلْأُمَّةِ بِمَا كَانَ فِيهِ وَيَكُونُ، وَالسَّجْدَةُ جَاءَتْ تَبَعًا

(1) رواه البخاري (6400) ومسلم (852)
(2) زاد المعاد (1/ 376)
(3) رواه أحمد (2/ 272) حسن بشواهده
(4) رواه أبو داود (1048) صححه الألباني في صحيح أبي داود (4/ 216)
(5) رواه أبو نعيم في الحلية (7/ 207) و البيهقي في شعب الإيمان (4/ 441) وصححه الألباني في صحيح الجامع (1/ 251)
(6) رواه أحمد (2/ 169)والترمذي (1047) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (2/ 1006)

لَيْسَتْ مَقْصُودَةً حَتَّى يَقْصِدَ الْمُصَلِّي قِرَاءَتَهَا حَيْثُ اتَّفَقَتْ. فَهَذِهِ خَاصَّةٌ مِنْ خَوَاصِّ يَوْمِ الْجُمُعَةِ. (1)

2- الاغتسال لهذا اليوم:

قال ابن القيم: وَهُوَ أَمْرٌ مُؤَكَّدٌ جِدًّا، وَوُجُوبُهُ أَقْوَى مِنْ وُجُوبِ الْوِتْرِ، وَقِرَاءَةِ الْبَسْمَلَةِ فِي الصَّلَاةِ، وَوُجُوبِ الْوُضُوءِ مِنْ مَسِّ النِّسَاءِ، وَوُجُوبِ الْوُضُوءِ مِنْ مَسِّ الذَّكَرِ، وَوُجُوبِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي التَّشَهُّدِ الْأَخِيرِ، وَوُجُوبِ الْقِرَاءَةِ عَلَى الْمَأْمُومِ. (2)

وقد اختلف العلماء في حكمه بين الوجوب والاستحباب، فاستدل الموجبون بحديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "الغُسْلُ يَوْمَ الجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ"(3). أي على كل من بلغ الحلم، وغيره من الأدلة، وجمهور العلماء على أنه سنة مؤكدة لحديث سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "مَنْ تَوَضَّأَ يَوْمَ الجُمُعَةِ فَبِهَا وَنِعْمَتْ، وَمَنْ اغْتَسَلَ فَالغُسْلُ أَفْضَلُ"(4)

3- **التطيب ولبس أحسن الثياب:**

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ^، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَمَسَّ مِنْ طِيبِ امْرَأَتِهِ إِنْ كَانَ لَهَا، وَلَبِسَ مِنْ صَالِحِ ثِيَابِهِ، ثُمَّ لَمْ يَتَخَطَّ رِقَابَ النَّاسِ، وَلَمْ يَلْغُ عِنْدَ الْمَوْعِظَةِ كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا بَيْنَهُمَا، وَمَنْ لَغَا وَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ كَانَتْ لَهُ ظُهْرًا"(5)

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ^ قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: " مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَاسْتَاكَ، وَمَسَّ مِنْ طِيبٍ إِنْ كَانَ عِنْدَهُ، وَلَبِسَ مِنْ أَحْسَنِ ثِيَابِهِ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى يَأْتِيَ الْمَسْجِدَ، فَلَمْ يَتَخَطَّ رِقَابَ النَّاسِ، ثُمَّ رَكَعَ مَا شَاءَ أَنْ يَرْكَعَ، ثُمَّ أَنْصَتَ إِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ، فَلَمْ يَتَكَلَّمْ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ صَلَاتِهِ، كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الَّتِي قَبْلَهَا " قَالَ: وَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَقُولُ:

" وَثَلَاثَةُ أَيَّامٍ زِيَادَةٌ، إِنَّ اللهَ جَعَلَ الْحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا "(6)

وعَنْ سَلْمَانَ الفَارِسِيِّرضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "لاَ يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الجُمُعَةِ، وَيَتَطَهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ طُهْرٍ، وَيَدَّهِنُ مِنْ دُهْنِهِ، أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَلاَ يُفَرِّقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ، ثُمَّ يُنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الإِمَامُ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمُعَةِ الأُخْرَى"(7)

---

(1) زاد المعاد (1/ 363).
(2) زاد المعاد (1/ 365).
(3) رواه البخاري (858)
(4) رواه الترمذي (497) والنسائي (1696) وصححه الألباني في صحيح الجامع (2/ 1063)
(5) رواه أبو داود (347) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (2/ 1048)
(6) رواه أحمد (3/ 81)
(7) رواه البخاري (883)

وعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم خَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَرَأَى عَلَيْهِمْ ثِيَابَ النِّمَارِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "مَا عَلَى أَحَدِكُمْ إِنْ وَجَدَ سَعَةً أَنْ يَتَّخِذَ ثَوْبَيْنِ لِجُمُعَتِهِ سِوَى ثَوْبَيْ مِهْنَتِهِ"[1]

4- **التبكير لصلاة الجمعة:**

ومن لطائف الأسرار في هذا المقام، أنّه لَمَّا كَانَ يومُ الجمُعةِ فِي الْأُسْبُوعِ كَالْعِيدِ فِي الْعَامِ، وَكَانَ الْعِيدُ مُشْتَمِلًا عَلَى صَلَاةٍ وَقُرْبَانٍ، وَكَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ يَوْمَ صَلَاةٍ، جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ التَّعْجِيلَ فِيهِ إِلَى الْمَسْجِدِ بَدَلًا مِنَ الْقُرْبَانِ، وَقَائِمًا مَقَامَهُ فَيَجْتَمِعُ لِلرَّائِحِ فِيهِ إِلَى الْمَسْجِدِ الصَّلَاةُ، وَالْقُرْبَانُ. [2] فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَرضي الله عنهأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الجُمُعَةِ غُسْلَ الجَنَابَةِ ثُمَّ رَاحَ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الخَامِسَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ حَضَرَتِ المَلاَئِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ"[3]

* والتبكير إلى الجمعة يبدأ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ وَهُوَ قَوْلُ الثَّوْرِيِّ وأبي حنيفة وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ، وَأَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ بَلْ كُلُّهُمْ يَسْتَحِبُّ الْبُكُورَ إِلَيْهَا. قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلَوْ بَكَّرَ إِلَيْهَا بَعْدَ الْفَجْرِ وَقَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ كَانَ حَسَنًا. [4]

أيها المسلمون: حق لمن قرأ هذين الحديثين أن ينكس الرأس خجلاً من الله وحياء من الملائكة الكرام، وشفقة على عباد الله وخوفًا عليهم، إذ يفرط الكثير منهم بهذا الخير الكثير، فكم من الفرق الكبير بين من يهدي البدنة لتبكيره والذي لا يهدي شيئا؛ لأنه جاء بعد ما طوت الملائكة صحفها. وكم من جمعة تطوي الملائكة فيه صحفها ولم تسجل فيه من السابقين إلا القليل ومعظمهم ممن هو كمهدي البيضة. فلا حول ولا قوة إلا بالله، ما هذا الزهد في الأجر؟ وما هذه الغفلة عن عظيم الذخر؟ ألم يبلغهم حديث أَوْسُ بْنِ أَوْسٍ الثَّقَفِيِّ رضي الله عنه، قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: "مَنْ غَسَّلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاغْتَسَلَ، وَبَكَّرَ وَابْتَكَرَ، وَمَشَى وَلَمْ يَرْكَبْ، وَدَنَا مِنَ الْإِمَامِ، فَاسْتَمَعَ وَلَمْ يَلْغُ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ عَمَلُ سَنَةٍ، أَجْرُ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا"[5] وَكَانَتِ الطُّرُقَاتُ فِي أَيَّامِ السَّلَفِ وَقْتَ السَّحَرِ وَبَعْدَ الْفَجْرِ غَاصَّةً بِالْمُبَكِّرِينَ إِلَى الْجُمُعَةِ يَمْشُونَ بِالسُّرُجِ. وَقِيلَ: أَوَّلُ بِدْعَةٍ أُحْدِثَتْ فِي الْإِسْلَامِ تَرْكُ الْبُكُورِ إِلَى الْجُمُعَةِ، إِذِ الْبُكُورُ إِلَيْهَا مِنْ شِدَّةِ الْعِنَايَةِ بِهَا. [6] وعَنْ عَلْقَمَةَ، قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنهإِلَى الْجُمُعَةِ فَوَجَدَ ثَلَاثَةً وَقَدْ سَبَقُوهُ، فَقَالَ: رَابِعُ أَرْبَعَةٍ وَمَا رَابِعُ أَرْبَعَةٍ بِبَعِيدٍ. [7] وفي رواية: أنه بكّر فرأى ثلاثة نفر سبقوه، فاغتم وأخذ يعاتب نفسه يقول: أراك رابع أربعة وما رابع أربعة بسعيد. وكيف لا يستحي المسلمون من

(1) رواه ابن ماجه (1096) وصححه الألباني في صحيح الجامع (2/ 985)
(2) زاد المعاد (1/ 386)
(3) رواه البخاري (881) ومسلم (850)
(4) زاد المعاد (1/ 387)
(5) رواه أبو داود (345) وابن ماجه (1087) وغيرهما وصححه الألباني في صحيح الجامع (2/ 1094)
(6) تفسير الزمخشري (4/ 534)
(7) سنن ابن ماجه (1/ 348)

اليهود والنصارى وهم يبكرون إلى البيع والكنائس يوم السبت والأحد، وطلاب الدنيا كيف يبكرون إلى رحاب الأسواق للبيع والشراء والربح فلم لا يسابقهم طلاب الآخرة. (1)

وللأسف هناك فئة كسالى، يأتون إلى المساجد في فتور وملل، ينتظر الواحد منهم إقامة الصلاة؛ ليأتي مسرعاً ثائر النَفْسِ والنَفَس، يدخل إلى الصلاة مشوش الفكر، لم يراع أدب الإسلام في دخول بيوت الله، ولم يعمل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلمفي التزام السكينة والوقار، فاته أجر التبكير إلى الصلاة، أما علم هذا الكسول أن منتظر الصلاة كالمرابط في سبيل الله، والملائكة تستغفر له ما دام في مصلاه، اللهم اغفر له، اللهم ارحمه؟ الله أكبر! {لا يزال قومٌ يتأخرون حتى يؤخرهم الله} دخلوا في سراديب الغفلة، وقست قلوبهم، أما يخشون أن يختم الله على قلوبهم، ويطمس أبصارهم، وينزع حلاوة الإيمان في قلوبهم؟. (2)

5 - وإذا دخل المسجد لزمَه عدةُ آداب:

*** - يصلي ركعتين تحية المسجد:** لحديث أَبِي قَتَادَةَ بْن رِبْعِيٍّ الأنْصَارِيّ رضي الله عنهأنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ المَسْجِدَ، فَلاَ يَجْلِسْ حَتَّى يُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ"(3) ولو دخل والإمام يخطب يصلي ركعتين ويوجز فيهما فعن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ ^، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم خَطَبَ، فَقَالَ: "إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَقَدْ خَرَجَ الْإِمَامُ، فَلْيُصَلِّ رَكْعَتَيْنِ"(4)

وعَنْه رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ: جَاءَ سُلَيْكٌ الْغَطَفَانِيُّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَرَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَاعِدٌ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَقَعَدَ سُلَيْكٌ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "أَرَكَعْتَ رَكْعَتَيْنِ؟ " قَالَ: لَا، قَالَ: "قُمْ فَارْكَعْهُمَا"ثُمَّ قَالَ: "إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ، فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ، وَلْيَتَجَوَّزْ فِيهِمَا"(5)

- وليس للجمعة على الأصح سنة راتبة قبلية، وعليه فليس من الأولى أن يقوم الجالس بعد أذان الخطبة لصلاة ركعتين.

قال ابن القيم: وَكَانَ إِذَا فَرَغَ بلال مِنَ الْأَذَانِ، أَخَذَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فِي الْخُطْبَةِ وَلَمْ يَقُمْ أَحَدٌ يَرْكَعُ رَكْعَتَيْنِ الْبَتَّةَ، وَلَمْ يَكُنِ الْأَذَانُ إِلَّا وَاحِدًا، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْجُمُعَةَ كَالْعِيدِ لَا سُنَّةَ لَهَا قَبْلَهَا، وَهَذَا أَصَحُّ قَوْلَيِ الْعُلَمَاءِ، وَعَلَيْهِ تَدُلُّ السُّنَّةُ، فَإِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ، فَإِذَا رَقِيَ الْمِنْبَرَ أَخَذَ بلال فِي أَذَانِ الْجُمُعَةِ، فَإِذَا أَكْمَلَهُ أَخَذَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فِي الْخُطْبَةِ مِنْ غَيْرِ فَصْلٍ، وَهَذَا كَانَ رَأْيَ عَيْنٍ فَمَتَى كَانُوا يُصَلُّونَ السُّنَّةَ؟! وَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا فَرَغَ بلال رضي الله عنهمِنَ الْأَذَانِ قَامُوا كُلُّهُمْ فَرَكَعُوا رَكْعَتَيْنِ فَهُوَ أَجْهَلُ النَّاسِ بِالسُّنَّةِ. (6)

*** - أن يجلس حيث ينتهي به المجلس:**

---

(1) إحياء علوم الدين (1/ 182)
(2) دروس للشيخ صالح بن حميد (56/ 12)
(3) رواه البخاري (1110) ومسلم (714)
(4) رواه مسلم (875)
(5) رواه مسلم (875)
(6) زاد المعاد (1/ 417)

لحديث جَابِرِ بن عبد الله ^، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "لَا يُقِيمَنَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، ثُمَّ لْيُخَالِفْ إِلَى مَقْعَدِهِ، فَيَقْعُدَ فِيهِ وَلَكِنْ يَقُولُ افْسَحُوا"[1]

*** - ألاّ يتخطى رقاب الناس ولا يفرق بينهم:**

فإنَّ فضيلة هذا اليوم وثوابه إنَّما تُنال باجتناب ذلك، للأحاديث السابقة، وثبوت النهي في ذلك فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا إِلَى جَنْبِ الْمِنْبَرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَجَاءَ رَجُلٌ يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَخْطُبُ النَّاسَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: " اجْلِسْ فَقَدْ آذَيْتَ، وَآنَيْتَ "[2]

*** - الإكثار من صلاة النافلة قبل الجمعة:**

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: "مَنِ اغْتَسَلَ؟ ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ، فَصَلَّى مَا قُدِّرَ لَهُ، ثُمَّ أَنْصَتَ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ خُطْبَتِهِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَعَهُ، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى، وَفَضْلُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ"[3]

وَالْمَأْثُورُ عَنْ الصَّحَابَةِ ~، أنهم كَانُوا إذَا أَتَوْا الْمَسْجِدَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ يُصَلُّونَ مِنْ حِينِ يَدْخُلُونَ مَا تَيَسَّرَ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُصَلِّي عَشْرَ رَكَعَاتٍ وَمِنْهُمْ مَنْ يُصَلِّي اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً، وَمِنْهُمْ مَنْ يُصَلِّي ثَمَانِ رَكَعَاتٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُصَلِّي أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ. [4]

*** - أن لا يتحلق قبل الجمعة:**

لأنَّ النبيّ صلى الله عليه وسلم. "نَهَى عَنِ التَّحَلُّقِ قَبْلَ الصَّلَاةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ" [5]

*** - ويستحب له أن يدنوا من الإمام**

للأحاديث السابقة، ولحديث سَمُرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: " احْضُرُوا الْجُمُعَةَ، وَادْنُوا مِنَ الْإِمَامِ، فَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَخَلَّفُ عَنِ الْجُمُعَةِ حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَخَلَّفُ عَنِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِهَا "[6]

*** - الإنصات عند خطبة الجمعة:**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَرضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ، فَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ، وَزِيَادَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَمَنْ مَسَّ الْحَصَى فَقَدْ لَغَا"[7]

*** - أن يجتنب اللغو:** فإنَّ الكلام أثناء الخطبة وعدمَ الإنصات يبطل الجمعة، لا يبطل الصلاة، ولكن يُذهب أجر الجمعة كلَّه، فتصير في حقِّه ظهرًا، ويُحرم من الأجور العظيمة التي يفوز بها أهل الجمعة. عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: " إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ: أَنْصِتْ، يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ، فَقَدْ لَغَوْتَ "[8]

---

(1) رواه مسلم (2178)
(2) رواه أحمد (4/ 190)وأبو داود (1118) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (1/ 175)
(3) رواه مسلم (857)
(4) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (2/ 351)
(5) رواه أبو داود (1079) وصححه الألباني في صحيح الجامع (2/ 1160)
(6) رواه أحمد(5/ 10) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (1/ 101)
(7) رواه مسلم (857)
(8) رواه مسلم (851)

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو^ عَنِ النَّبِيِّصلى الله عليه وسلم قَالَ " يَحْضُرُ الْجُمُعَةَ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ رَجُلٌ حَضَرَهَا يَلْغُو وَهُوَ حَظُّهُ مِنْهَا، وَرَجُلٌ حَضَرَهَا يَدْعُو فَهُوَ رَجُلٌ دَعَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِنْ شَاءَ أَعْطَاهُ وَإِنْ شَاءَ مَنَعَهُ، وَرَجُلٌ حَضَرَهَا بِإِنْصَاتٍ وَسُكُوتٍ وَلَمْ يَتَخَطَّ رَقَبَةَ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُؤْذِ أَحَدًا فَهِيَ كَفَّارَةٌ إِلَى الْجُمُعَةِ الَّتِي تَلِيهَا وَزِيَادَةُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ وَذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا) ". (1)

وعن ابْنَ عُمَرَ ^ أنه قَالَ لِرَجُلٍ كَلَّمَ صَاحِبَهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالإِمَامُ يَخْطُبُ: أَمَّا أَنْتَ فَحِمَارٌ، وَأَمَّا صَاحِبُكَ فَلاَ جُمُعَةَ لَهُ. (2)

*** - أن يستقبل الإمام بوجهه:**

فعَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم "إِذَا قَامَ عَلَى الْمِنْبَرِ، اسْتَقْبَلَهُ أَصْحَابُهُ بِوُجُوهِهِمْ"(3)

*** - أن يتحول من مكانه إذا نعس:**

فعَنْ ابْنِ عُمَرَ^، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الجُمُعَةِ فَلْيَتَحَوَّلْ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ"(4)

أما الصلاة بعد الجمعة فورد فيها عدة أحاديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمُ الْجُمُعَةَ فَلْيُصَلِّ بَعْدَهَا أَرْبَعًا"(5) وعَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بن عمر ^، أَنَّهُ كَانَ إِذَا صَلَّى الْجُمُعَةَ انْصَرَفَ، فَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ فِي بَيْتِهِ، ثُمَّ قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَصْنَعُ ذَلِكَ"(6) وقد جمع ابن تيمية رحمه الله بين الحديثين فقال: إِنْ صَلَّى فِي الْمَسْجِدِ صَلَّى أَرْبَعًا، وَإِنْ صَلَّى فِي بَيْتِهِ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ. (7) وَعَلَى هَذَا تَدُلُّ الْأَحَادِيثُ، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ ^: أَنَّهُ كَانَ إِذَا صَلَّى فِي الْمَسْجِدِ صَلَّى أَرْبَعًا، وَإِذَا صَلَّى فِي بَيْتِهِ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ. (8)

6- ومن آداب يوم الجمعة: قراءة سورة الكهف:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنهأَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "إِنَّ مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ"(9)

7- ومن آداب يوم الجمعة كثرة الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم:

قال ابن القيم: وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم سَيِّدُ الْأَنَامِ، وَيَوْمُ الْجُمُعَةِ سَيِّدُ الْأَيَّامِ، فَلِلصَّلَاةِ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْيَوْمِ مَزِيَّةٌ لَيْسَتْ لِغَيْرِهِ مَعَ حِكْمَةٍ أُخْرَى وَهِيَ أَنَّ كُلَّ خَيْرٍ نَالَتْهُ أُمَّتُهُ

---

(1) رواه أحمد (2/ 214) وأبو داود (1113) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (2/ 1335)
(2) مصنف ابن أبي شيبة (8/ 536)
(3) رواه ابن ماجة (1136) وصححه الألباني في صحيح الجامع (2/ 866)
(4) رواه الترمذي (526) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (2/ 26)
(5) رواه مسلم (881)
(6) رواه مسلم (882)
(7) زاد المعاد (1/ 425)
(8) رواه أبو داود (1130) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (ص: 2)
قلت – أحمد بن سليمان-: والحديث فيه لفظة منازع فيها، وهي زيادة (يوم الجمعة)، فقد أعلها بعض المحدثين، ومن قواها اعتبر ذلك من باب التساهل في أحاديث فضائل الأعمال.
(9) أخرجه الحاكم في المستدرك (2/ 399) وقال هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ "والبيهقي في الدعوات الكبير (526) وصححه الألباني في صحيح الجامع (2/ 1104)

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَإِنَّمَا نَالَتْهُ عَلَى يَدِهِ، فَجَمَعَ اللَّهُ لِأُمَّتِهِ بِهِ بَيْنَ خَيْرَيِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَأَعْظَمُ كَرَامَةٍ تَحْصُلُ لَهُمْ، فَإِنَّمَا تَحْصُلُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَإِنَّ فِيهِ بَعْثَهُمْ إِلَى مَنَازِلِهِمْ وَقُصُورِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، وَهُوَ يَوْمُ الْمَزِيدِ لَهُمْ إِذَا دَخَلُوا الْجَنَّةَ، وَهُوَ يَوْمُ عِيدٍ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَيَوْمٌ فِيهِ يُسْعِفُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِطَلَبَاتِهِمْ وَحَوَائِجِهِمْ، وَلَا يَرُدُّ سَائِلَهُمْ، وَهَذَا كُلُّهُ إِنَّمَا عَرَفُوهُ وَحَصَلَ لَهُمْ بِسَبَبِهِ وَعَلَى يَدِهِ، فَمِنْ شُكْرِهِ وَحَمْدِهِ وَأَدَاءِ الْقَلِيلِ مِنْ حَقِّهِ صلى الله عليه وسلم أَنْ نُكْثِرَ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْيَوْمِ وَلَيْلَتِهِ. (1)

فعَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍرضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ" قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرِمْتَ - يَقُولُونَ: بَلِيتَ -؟ فَقَالَ: "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ"(2)

**** وعيد من ترك الجمعة بغير عذرٍ**

-أيها الإخوة- قومٌ غافلون، متهاونون، كأنه لم يطرق آذانهم الوعيد الشديد، فلم يعرفوا لهذا اليوم حقه، ولم يكترثوا بفضله: فعَنْ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ لِقَوْمٍ يَتَخَلَّفُونَ عَنِ الْجُمُعَةِ: "لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ رَجُلًا يُصَلِّي بِالنَّاسِ، ثُمَّ أُحَرِّقَ عَلَى رِجَالٍ يَتَخَلَّفُونَ عَنِ الْجُمُعَةِ بُيُوتَهُمْ"(3)

وعن الْحَكَمُ بْنُ مِينَاءَ، أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ، وَأَبَا هُرَيْرَةَ^ حَدَّثَاهُ، أَنَّهُمَا سَمِعَا رَسُولَ اللهصلى الله عليه وسلم، يَقُولُ عَلَى أَعْوَادِ مِنْبَرِهِ: "لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ، أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ"(4)

وعَنْ أَبِي الْجَعْدِ الضَّمْرِيِّ رضي الله عنه، وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: مَنْ تَرَكَ ثَلَاثَ جُمَعٍ تَهَاوُنًا مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ. (5)

وعَنْ أُسَامَةَ بن زيد^، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "مَنْ تَرَكَ ثَلَاثَ جُمُعَاتٍ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ كُتِبَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ"(6)

فهل يليق بمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر بعد هذا العرض المختصر أن يفرط في هذا الثواب العظيم، والمنح ذات المقام الجليل، ويتهاون في وعيد الرحمن الشديد لمن فرط في الجمعة ولم يأتها لدنيا أو حظ نفس أمر به شيطان مريد.

(1) زاد المعاد (1/ 364)
(2) رواه أحمد(4/ 8) وأبو داود (1047) وصححه الألباني في صحيح الجامع (1/ 440)
(3) رواه مسلم (652)
(4) رواه مسلم (865)
(5) رواه أحمد (3/ 424) وأبو داود (1052) وصححه الألباني في صحيح الجامع (2/ 1058)
(6) رواه الطبراني (422) وصححه الألباني في صحيح الجامع (2/ 1058)

مدخل لدراسة فقه المعاملات

توطئة:

* أهل العلم يقسمون المصنفات الفقهية إلى أربعة أقسام:

1 ـ العبادات. 2 ـ المعاملات. 3 ـ أحكام الأسرة. 4ـ الحدود و الجنايات و الأقضية.

و منهم من يقسمها إلى ثلاثة أقسام: فيجعل أحكام الأسرة ضمن كتاب المعاملات كابن عابدين فتكون أقسام كتب الفقه ثلاثة:

1 ـ العبادات. 2 ـ المعاملات. 3 ـ الحدود و الجنايات و الأقضية.

والأمر في ذلك واسع، لكن مرادنا هنا التقسيم الأول، فمرادنا بفقه المعاملات: المعاملات المالية.

* و المعاملات المالية تشمل خمسة عقود:

الأول: عقود المعاوضات: وهي المعاملات التي يقصد بها العوض من الربح والكسب، وهي التي تكون فيها المبادلة، كالبيع، والإجارة، ونحوهما.

الثاني: عقود التبرعات (الإرفاق): وهي المعاملات التي يقصد بها الإرفاق و الإحسان إلى الآخرين، و يكون فيها بذل من جانب واحد دون الجانب الآخر، مثل: الهبة، الصدقة، الهدية، والوصية. .

الثالث: عقود جمعت بين المعاوضة و الإرفاق: وهي المعاملات التي يقصد بها الإرفاق و الإحسان، والمعاوضة، كالقرض و العارية (الاستعارة). (و بعض أهل العلم يلحقها بعقود المعاوضات).

الرابع: عقود المشاركات: وهي المعاملات التي يقصد بها العوض (الربح) و يجتمع فيها شريكان، أو أكثر لأجل المتاجرة بالمال بقصد الاشتراك في الربح. (و بعض أهل العلم يلحقها بعقود المعاوضات).

الأخير: عقود التوثيقات: وهي المعاملات التي يقصد بها، توثيق عقد آخر، فهي غير مرادة لذاتها، وإنما تراد لتوثيق عقد آخر مثل: عقد الضمان، والكفالة، والرهن. (و بعض أهل العلم يلحقها بعقود المعاوضات).

إذن يمكننا رد عقود المعاملات المالية إلى عقدين:

عقود المعاوضات، وعقود التبرعات

وإنما اخترنا التقسيم السابق لأنه أوضح في ذهن طالب العلم.

• والبيع من أهم عقود المعاوضات لشدة الحاجة إليه، وقد عرف بتعريفات المختار منها أنه:

(مبادلة مال بمال، أو منفعة مباحة، ولو في الذمة)

شرح لبعض مفردات التعريف:

* المال عرف بأنه: كل عين مباحة النفع بلا حاجة. فما لا نفع فيه كالبعوض فليس مالاً، والمحرم كالمعازف مثلاً ليس مالاً، و ما لا يباح إلا للحاجة كالكلب ليس مالاً.

وعلى هذا فالمال نوعان:

1 ـ أثمان: كالذهب (الدينار) و الفضة (الدرهم) و الأوراق النقدية.

2 ـ عروض: كالبيت، و السيارة، و القمح، و القماش. . .

* و المنفعة المقصود بها ما ينتفع به الإنسان كتعليم، أو بناء، أو خياطة ثوب. . .

فيستفاد من هذا أن البيع يشمل:

1 ـ مبادلة الأثمان بالأثمان، و تسمى هذه المعاملة صرفًا، كبيع الريال بالجنيه مثلاً

2 ـ مبادلة الأثمان بالعروض، و تسمى هذه المعاملة بيعًا كشراء سيارة بعشرة آلاف مثلاً

3 ـ مبادلة الأثمان بالمنافع، و تسمى هذه المعاملة إجارة كتأجير من يبني لك بيتًا.
فهذه ثلاثة أنواع للبيع كلها جائز و يمكن أن تكون تسعًا بتبادل الأنواع الثلاثة الماضية مع بعضها.

• و قولهم: و لو في الذمة: يؤخذ منه أن هذه المعاملات تنقسم إلى قسمين:
الأول: البيع الناجز، ويكون فيه تبادل المال بالمال في مجلس العقد، على أي وجه من الوجوه الماضية.
الآخر: البيع في الذمة و له ثلاث صور:
أ ـ أن تعجل السلعة و يؤجل المال، فهذا بيع الأجل، وهو جائز مباح إلا في بيع الأثمان ببعضها.
لحديث أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيِّرضي الله عنهأَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (لاَ تَبِيعُوا الذَّهَبَ بِالذَّهَبِ إِلاَّ مِثْلاً بِمِثْلٍ، وَلاَ تُشِفُّوا بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ، وَلاَ تَبِيعُوا الْوَرِقَ بِالْوَرِقِ إِلاَّ مِثْلاً بِمِثْلٍ، وَلاَ تُشِفُّوا بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ، وَلاَ تَبِيعُوا مِنْهَا غَائِبًا بِنَاجِزٍ) متفق عليه
ب ـ أن يعجل المال في مجلس العقد و تؤجل السلعة بشرط أن تكون موصوفة بوصف يرفع الجهالة، فهذا بيع السلم وهو جائز مباح إلا في بيع الأثمان ببعضها.
لحديث أَبِي الْمِنْهَالِ، قَالَ: سَأَلْتُ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ، وَزَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ ^ عَنِ الصَّرْفِ فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَقُولُ: هَذَا خَيْرٌ مِنِّي، فَكِلاَهُمَا يَقُولُ: (نَهَى رَسُولُ اللهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ عَنْ بَيْعِ الذَّهَبِ بِالْوَرِقِ دَيْنًا)
ج ـ أن تؤجل السلعة و المال، فهذه صورة بيع الدين بالدين (الكالئ بالكالئ)، و هي لا تجوز إجماعًا. (الإجماع لابن المنذر مسألة رقم 485 ص 79)
و الفقهاء يقسمون البيوع إلى نوعين باعتبار تحديد الثمن
1 ـ بيع المساومة: لا يظهر فيه البائع رأس مال السلعة بل يعرضها بثمن فإن ارتضاه المشتري أو ترك، ومن بيوع المساومة:
ـ عقد المزايدة: وصورته أن يعرض البائع سلعته، و يزايد المشترون في ثمنها ثم تكون لأعلى ثمن.
ـ عقد التوريد أو المناقصة: وصورته أن يعلن راغب الشراء مثلاً عن رغبته في سلعة أو تنفيذ مشروع، ليتنافس الراغبون في تنفيذ العقد، ثم يكون لأقل ثمن، وهو عكس المزايدة، و كلاهما صحيح على الراجح عند جمهور أهل العلم.
2 ـ بيع الأمانة: هو البيع الذي يذكر فيه البائع السعر الذي اشترى السلعة به، وهو على ثلاثة أنواع:
ـ بيع المرابحة: وهو أن يحدد البائع رأس مال السلعة، ثم يحدد ربحه فيها.
ـ بيع التولية: وهو أن يحدد البائع رأس مال السلعة، ثم يبيعها به بلا زيادة و لا نقصان.
ـ بيع الوضيعة (ويقال: النقيصة، أو الخسارة أو المحاطة): وهو أن يحدد البائع رأس مال السلعة، ثم يبيعه بأقل من ثمنها. وهذه البيوع الثلاثة جائزة مباحة.
من أهم القواعد التي في باب المعاملات قاعدتان:
الأولى: أن الأصل في المعاملات الإباحة والصحة إلا ما دل الدليل على تحريمه وفساده، فدائرة الحلال أوسع بكثير من دائرة الحرام في المعاملات ومن أدلة هذه القاعدة:
قوله تعالى: { هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا } وقوله: { وَ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبَا}
فالأصل الإباحة و التحريم يكون لأحد أمرين:
1 ـ ما حرم لذاته: وهو ثلاثة أنواع:
أ ـ ما حرمت عينه، وحرم الانتفاع به: كالخمر، و الخنزير، و الأصنام، فلا يجوز بيعها و لا الانتفاع بها.

ب ـ ما يمكن الانتفاع به بوجه: كالكلب، والميتة، والدم، فلا يجوز بيعه، وإن أبيح الانتفاع به للحاجة.

ودليل هذا القسم حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِرضي الله عنه، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ـ صلى الله عليه وسلمـ يَقُولُ، عَامَ الْفَتْحِ، وَهُوَ بِمَكَّةَ: (إِنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةِ وَالْخِنْزِيرِ وَالأَصْنَامِ.

فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ شُحُومَ الْمَيْتَةِ فَإِنَّهَا يُطْلَى بِهَا السُّفُنُ، وَيُدْهَنُ بِهَا الْجُلُودُ، وَيَسْتَصْبِحُ بِهَا النَّاسُ؟

فَقَالَ: لاَ، هُوَ حَرَامٌ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صلى الله عليه وسلمـ عِنْدَ ذلِكَ: قَاتَلَ اللهُ الْيهُودَ، إِنَّ اللهَ لَمَّا حَرَّمَ شُحُومَهَا جَمَلُوهُ ثُمَّ بَاعُوهُ فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ) متفق عليه

فقد ذكروا لشحوم الميتة ثلاث منافع، ولم يبح بيعها لكونها محرمة العين، و من منافعها أيضًا أنه قد يأكلها كلب الصيد، فيباح الانتفاع بها على هذه الحالة دون بيعها.

و أما دليل تحريم بيع الكلب فحديث أَبِي مَسْعُودرضي الله عنه(أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ ـ صلى الله عليه وسلمـ نَهَى عَنْ ثَمَنِ اَلْكَلْبِ، وَمَهْرِ اَلْبَغِيِّ، وَحُلْوَانِ اَلْكَاهِنِ) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

والدم و الميتة و الخمر و الخنزير يحرم بيعها بالإجماع (الإجماع لابن المنذر ص 76، 77)

ج ـ ما كان مباح العين و لكن قد يكون فيه منفعة محرمة كالحرير هو مباح العين لكن فيه منفعة محرمة، وهي لبسه للرجال، وكذا الذهب، فلا يجوز بيعه لهذه المنفعة، و إن جاز لغيرها.

2 ـ ما حرم لكسبه: وهو ما كانت عينه مباحة، وإنما حرم لكسبه سواء للظلم أو الربا، أو الغرر

كالعقود الربوية، والمغصوب، وكسب القمار. . .

س ما الفرق بين النوعين؟

والفرق بين النوعين: أن الحرمة في المحرم لذاته لا تنفك عنه، و في المحرم لكسبه تلحق كاسبه فقط، ومثال ذلك: لو أن شخصًا اشترى خمرًا ثم أهداه لآخر هل يحل له؟ الإجابة: لا، لأن التحريم لا ينفك عنه.

وأما المحرم لكسبه، كآكل الربا و المقامر، و الراقصة فالتحريم لا يلحق سواه، أما إذا أخذه منه شخص آخر بطريق مباح فلا حرج في ذلك فيجوز قبول هديته، و سكنى داره و لو كانت من الربا، وأكل طعامه، وأخذ الميراث منه فعليه إثمه ولك غنمه حلال طيب هذا إذا كان كسبه المحرم برضا طرفي العقد المحرم، وقد كره ذلك بعض أهل العلم، وأما لو تعين الظلم منه، كالغاصب وعلمت عين المال المغصوب فلا يجوز، أما التورع عن مثل هذا فباب واسع.

ودليل ذلك أن النبيصلى الله عليه وسلمقبل الهدية من اليهود، وعاملهم بأنواع المعاملات فعن عائشة ، قالت: (تُوُفِّي رسول الله صلى الله عليه وسلم وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِي في ثَلاثِينَ صَاعاً مِنْ شَعِير) متفق عَلَيْهِ

ومعلوم أنهم أكلة ربا قال تعالى: { فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (160) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (161) } النساء: ١٦٠ ـ ١٦١

إذن فالأصل في المعاملات الإباحة و الحرمة تطرأ عليها إما لحرمة العين أو الربا، أو الغرر أو الظلم والضرر

الثانية: لا يصح البيع إلا باكتمال أركانه و اجتماع شروطه، وانتفاء موانعه.

و أركان البيع ثلاثة على وجه الإجمال:

1 ـ العاقدان (البائع و المشتري). 2 ـ المعقود عليه (الثمن و المثمن).

3 ـ الصيغة (الإيجاب و القبول) سواء كانت قولية أو فعلية أقرها عرف كالمعاطاة.
وشروطه ستة ثلاثة راجعة للعاقدين، و ثلاثة للمعقود عليه.
الشروط الراجعة للعاقدين:
1 ـ الأهلية: و تتحقق بثلاثة أمور مجتمعة: البلوغ، العقل، الرشد.
والدليل عليها قوله تعالى: { وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا }. النساء: ٦
فالطفل، و المجنون، و السفيه، لا يصح بيعهم، و لا تصرفاتهم، لكن إن أجاز الولي أو الوصي تصرف الطفل أو السفيه جاز العقد.
2 ـ التراضي: بأن يرضى طرفي العقد من غير إكراه لقوله تعالى: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ**} النساء: ٢٩
3 ـ الملك: أن يملك العاقدان الثمن و المثمن لحديث حكيم بن حزامرضي الله عنهأَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ صلى الله عليه وسلمـ قال (لاَ تَبِعْ مَا لَيْسَ عِنْدَكَ) رواه أصحاب السنن
الشروط الراجعة للمعقود عليه:
4 ـ الإباحة: و المقصود أن يكون الثمن و المثمن مباحان في النفع من غير حاجة فلو كانت العين نجسة أو مغصوبة أو محرمة النفع أو الكسب حرم، لحديث رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ رضي الله عنه أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((ثَمَنُ الْكَلْبِ خَبِيثٌ. وَمَهْرُ الْبَغِيِّ خَبِيثٌ، وَكَسْبُ الْحَجَّامِ خَبِيثٌ)) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ
5 ـ العلم: و المقصود العلم الرافع للجهالة عن الثمن و المثمن (السلعة) سواء كان برؤية أو وصف.
6 ـ القدرة على التسليم: فلا يصح بيع الضائع، و لا المغصوب.

وكتبه
محمد بن عبد العزيز

المحتويات

القواعد الشرعية لنجاة الأمة من الأفكار الخاوية غير المرضية 2
1ـ خطورة الكلمة 5
2ـ احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ 11
3ـ مواقف من حياة صديق الأمة (أبو بكر الصديق) 21
4ـ الجُمُعةُ آدابٌ وأحكامٌ 30
مدخل لدراسة فقه المعاملات 40

للمشاركة أو الاستفسار

اتصل على ت مجمع التوحيد ببلبيس / 055-2847990

ولمتابعة الخطب ومحاضرات معهد إعداد الدعاة من خلال
موقع مسجد التوحيد - بلبيس

www.altawhed.net

ويمكن التواصل من خلال موقع التواصل الاجتماعي -فيس بوك-

مسجد التوحيد - بلبيس
www.facebook.com/MasjedAltawhed
أو
معهد إعداد الدعاة - بلبيس
www.facebook.com/Alm3had